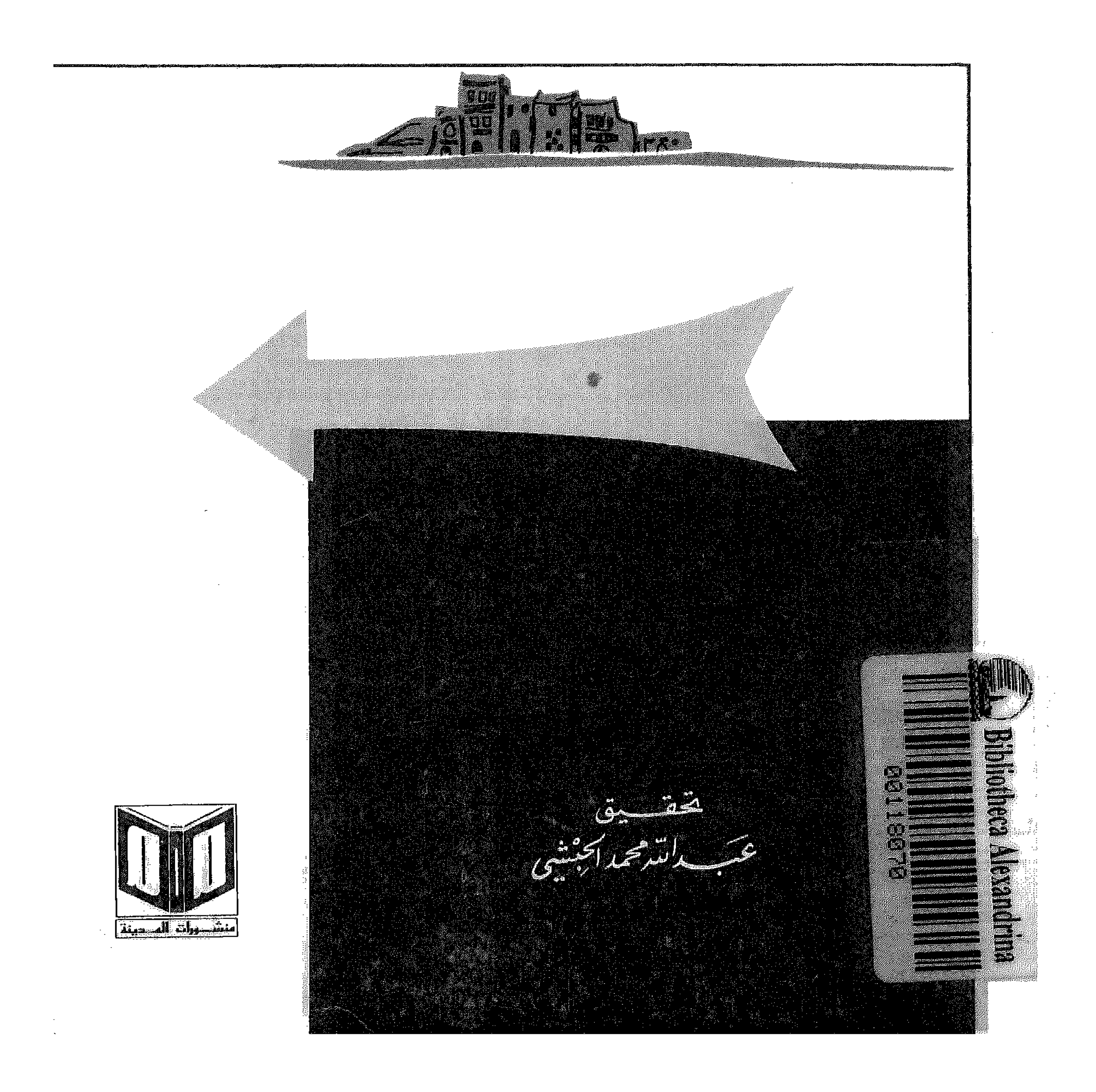
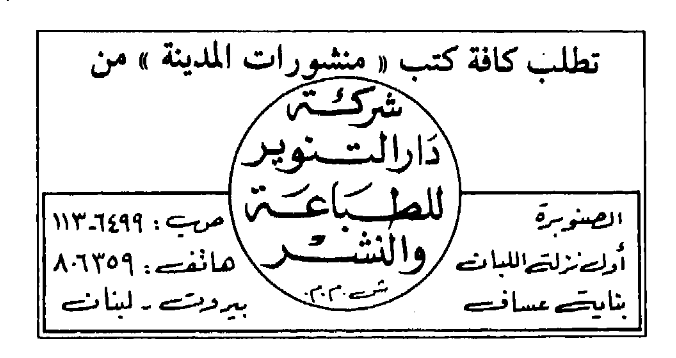
تاريخ اليمن الحديث

(فترة خروج العثمانيين الأخير)

تأليف : عبدالله بن محسن العزب



تاريخ اليمن الحديث


تطلب كافة كتب « منشورات المدينة » من
شركة
دار التنوير
للطباعة
والنشر
الصنوبرة
أول نزلة اللبان
بناية عساف
ص.ب: ٦٤٩٩-١١٣
هاتف: ٨٠٦٣٥٩
بيروت - لبنان

تاريخ اليمن الحديث

(فترة خروج العثمانيين الأخير)

تأليف : عبدالله بن محسن العزب

تحقيق
عبدالله محمد الحبشي

الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

لا بد لنا ونحن نستطلع مصادر التاريخ اليمني الحديث أن نقف عند المواجهة الشجاعة لأهل اليمن في وجه الأتراك، وما ساهمت به الكتابات اليمنية من مؤلفات تاريخية كبيرة، ترصد تلك الأحداث البطولية التي نادراً ما تتفق لشعب واحد غير اليمن، فهناك الملاحم الخالدة التي حفلت بها متون التاريخ اليمني من منذ مؤلفات المؤرخ اليمني الكبير المطهر بن محمد الحرموزي المتوفى سنة ١٠٧٧ هـ حتى كتابات المؤرخ اليمني المعاصر محمد بن محمد زبارة المتوفي سنة ١٣٨٠ هـ.

وهو حشد كبير من الإنتاج يستصعب حصره الباحث النشيط وتكلَ عنده المطابع، ولا بأس من أن نقف من حين لآخر عند بعض الكتب المحقّقة التي تفاجئنا بها المطابع من ذلك الحشد الكبير، ولكنه ليس كل الانتاج ولا اهمّه.

وكان أكثر ما كتب في هذا المجال يتعلق بالتصدّي الأول لقدوم الأتراك الى اليمن في القرن العاشر، ثم تنطوي قرابة قرنين من الزمن تكون البلاد فيها قد نعمت باستقلالها وحريتها، حتى يأتي النصف الثاني من القرن الثالث عشر، وتعاد الكرة لصراع أهل اليمن مع العثمانيين وهي معارك كبيرة وطويلة لا تقل بطولة وإقداماً عن سابقتها.

لكن المصادر لا تسهم بالشيء الكثير من الوصف والتدوين لتاريخ

تلك المواجهة الأخيرة، وهي بضعة كتب، كـان من أهمها تـاريخ الحـرازي وتلميذه والزبيري الذي تأتى لنا نشر كتابه، ما عداهما لا يكاد يذكر سوى ما كان من سير لأئمة هذه الفترة التي نعنيها.

ومـع ان اليمن عاش في العصـر الحديث وشهـود الصحف والمجلات الدورية التي ترصد الأحداث وأخبارها إلّا أنه لم يحظ بشيء منهـا، ولم يبق امـامنـا سـوى تلك الأعمـال الفـرديـة التي تجّـرد لهـا رجـال مخلصـون من المؤرخين اليمنيين، ومن ثم كـان البحث عن تلك المصادر المكتـوبة مهمـا كان نوعها وميولها ضرورة حتمية لطالب البحث في هذا المجال.

ولحسن الحظ سلمت لنـا بعض المصادر من عـاديات الـزّمـان وبقيت متشبثة بأصولها من مسودات كتبها مؤلفوها او انتسخت عنها وهي قليلة ونادرة جداً.

ومن بين تلك الأصـول التي نعنيها هـذا الذي بين يـديك وقـد احتفظ بخط مؤلفه كما أراده وبيّضه.

ومؤلف هذا الأثر النفيس نـظن أنه الأديب والمؤرخ اليمني الكبيـر عبد الله بن محسن العـزب أحد رجال اليمن الأحرار الذين جمعتهم مجلة الحكمة بكتاباتها الحرّة الإصلاحية.

وعلى الرغم من ان الكتاب لا يحمـل اسم مؤلف أو عنوان، ولا حتى ديباجة تشرح الكتاب وأهدافه ومضامينه فقد أكّد لي شيخنا العلامة احمد بن محمد زبارة أنـه خط الأستاذ العزب المذكور وتـأيد لي هـذا من خلال تنسم نفس الكـاتب وأسلوب تعبيـره الـذي وقفنـا عليـه أوّلاً على صفحـات مجلة الحكمة ونشر في كتاب مستقل عن هذه المجلة.

عبد الله العزب

ترجم له الأستاذ الدكتور عبد العزيز المقالح فقال:

ولد عبد الله العزب في قرية السفياني من قـرى الحيمة الـداخلية عـام ١٩٠٣م تقـريباً. ونشـأ يتيماً فقـد اختـطفت المنيـة أبـاه قبـل أن يـرى الـطفـل النـور، وفي سن الصبـا المبكر حمله عمـه إلى مركـز النـاحيـة «العـر» وهنـاك تلقى دراسته الأولى، وأظهر تفوقاً دفع بالعم إلى الانتقال به إلى صنعـاء لاستكمال تعليمه في المدرسـة العلمية (دار العلوم) وليكن على صلة بعلمـاء العاصمـة الذين أحسنوا رعايته وعجبوا من استعداده الفـطري لاستيعاب مختلف العلوم اللّغوية والفقهية والكلامية وكان ذكـاؤه اللماح وتـوهّجه المتـألق جنايـة عليه، فقد أدرك في وقت مبكر فساد النظام الحاكم، وسوء القيـادة وما كـاد يتخرج من المدرسة حتى استقبله «سجن القلعة» بتهمة اختصار القرآن مـع عدد من زملائه الثائرين والمتمردين على نظام الإمام يحيى.

ثم خرج العزب من السجن رافع الرأس قوي الإيمان، وعندما ظهرت «الحكمة» كان واحداً من أبرز كتابها، في نفس الوقت الذي كان ينظم عدداً من القصائد الثائرة التي تحول إلى مناشير غاضبـة ضد الإمـام وحكمه، وقـد عمل مدرّساً ثم مفتشاً تربويـاً، في حقل التعليم، وعنـدما اشتـد نشاطـه رأى الإمام ابعاده عن العـاصمة واختـار له منصب القضـاء في مدينـة «حيس» في ظروف صحية سيئة. ولم يقض، في منصبه سوى عامين، ثم أدركته الحمى وفي تعز التي حملوه إليها للعلاج لقي وجه ربه عام ١٩٤٤.

تلك حيـاة مؤلفنا العلامـة العزب كمـا أجملها الـدكتور عبـد العـزيـز المقالح في كتـابه احمـد الحورش ص ١٧٤ ومن الغـريب انها سقـطت من كتاب نزهة النظر مع ان مؤلفه كان من المعاصرين والمشاركين له في البحث التاريخي.

وقـد سألت ابن المؤرخ زبارة شيخنـا العلامـة احمد بن محمـد زبارة ترحمه للمذكور فأحالني على كتـابه مستـدرك نزهـة النظر ومنـه اهل حصـد، الترجمة كاملة لما فيها معلومة هامة يقول:

عبد الله بن محسن العزب مولده سنة ١٣٣١ هـ والتحق بالمدرسة العلمية عند فتحها سنة ١٣٤٤ هـ وهو مراهق بالقسم الأول وتدرج في مناهجها بسرعة وظهر نبوغه وفاق اقرانه وتخرج منها بتفوق ودرس ايضاً لدى القاضي لطف الزبيري وسيدنا حسين العمري وطالع كتب الأدب والتاريخ والكتب العصرية والصحف وكان صريحاً ينتقد بصراحة فحبس مع احمد المطاع ومحمد المطاع وعلي الشماحي والعزي صالح السنيدار ومحمد المحلوي وغيرهم ولما حبسوا اختلق الغوغاء اسباباً لحبسهم بأنهم اختصروا القرآن وسموهم «درادعة» يهود منحرفين. ولعله أول حبس للأحرار وكان كاتب الأحرف احمد بن محمد زبارة يزورهم الى القلعة بسهولة واعطيتهم الصحف وفيها مقالات لمحمد علي الطاهر ولمحيي الدين العنسي ولوالدي المؤرخ زبارة من بغداد سنة ١٣٥٤ وأرسل اليهم هدايا كعنب وغيره. ثم كتبوا الى الإمام يحيى استعطافاً وتوبة يرجون اطلاقهم، فأجاب بخطه:

اصلح الله شأنكم صدرت «التصفية» للإمام يحيى بن حمزة في علم الباطن انسخوها وطالعوها لتصلح الباطن والظاهر.

ثم راجع لهم السيد قاسم العزي والقاضي راغب وغيرهما فاطلقوا. وتعين العزب حاكماً لحيس وعلي الشماحي لوصاب السافل ومات به. اما العزب فسار في حكومة حيس سيرة محمودة بالعفة وعدل فحمده الناس واحبوه لا سيما الشهيد الحاج الخادم غالب فقد أعانه بكل شيء وجعل له في ارباح تجارته ثم مرض بحيس بالسّل وكان صديقه الحميم القاضي علي الزنداني عنده فأوصله الى مستشفى تعز مع الحاج الخادم غالب. وهناك توفي سنة ١٣٦٥ هـ.

وممن رثاه الأديب الكبير احمد بن محمد الشامي تلميذه بهذه المرثاة:

الفؤاد الطاهر الأهوى ذاب	والشباب الساطع الأضواء غاب
فالسماء تبحث عن كوكبها	والهوى يبكي على القلب المذاب

لكل روح وثبت من سجنها ... وتعالت عن جراثيم التراب
بالها جوهرة ما سطعت ... بالسنا في تاج سلطان مجاب
وانطوى قلبي على حسرته ... يتلوي تحت أنياب المصاب
يا له من نبأ كان على ... مسمعي اعنف من طعن الحراب
مات (عبد الله) من كان له ... مقول فَذٌّاً إذا قال اصاب
ويراع جمع الفن به ... منطقي الحر الى فصل الخطاب
وفؤاد وسع الدنيا فما ... ضاق إلا بالخطايا والكذاب
اين انت اليوم بالله اجب ... ان يكن في وسعك اليوم جواب
قد عهدناك حكيماً صادقاً ... طاهر المنطق عن مبن وعاب
هات حدثني عن الروح وما ... حالها ان غادرت دنيا التراب
اهي في الجسم سجين فإذا ... وثبت راق لها العيش وطاب
ما وراء الموت ما عالمه ... انعم ام شقاء وعذاب
صف لنا الخلد وصف جناته ... وصف النار واحوال العذاب
المعري لم تكن اوصافه ... وهي حق بل خيال وارتياب
فإذا كنت سميعاً فأجب ... آه يا ليتك تستطيع الجواب
آسفاً أبكيك بالشعر كما ... يندب الشيخ ملذات الشباب
كنت عبد الله في عالمنا ... بلبلاً بل كنت للشعر لباب
ترسل الشعر فتشجينا به ... وتغنينا الأناشيد العذاب
يتلقاه بقلب ثابت ... صادق العزم جري لا يهاب

انتهى ما وجدته في كتاب العلامة احمد زبارة وحياة مؤلفنا قصيرة وسعها ذكاؤه واقدامه وهو صاحب ريادة في تاريخنا الأدبي لا تجهل فهو أول من استفاد من المبهج العلمي الحديث لعله افاده في الأساس من قراءاته المتكررة لأدباء البلاد العربية المعاصرين له في مصر والشام والعراق وقد جرّب الكتابة في المجالات اليمنية لأول مرة في تاريخ الفكر الأدبي الحديث في اليمن وهو بهذا يستحق الريادة. وقد اثبت فيما كتبه ان ابناء

اليمن يستطيعون مجاراة الأدباء العرب في أساليبهم العصرية.

ومع أن الأيام لم تمهله كثيراً فقد باشر الكتابة في الحكمة قبيل وفاته بست سنوات، وكتب مؤلفه هذا الذي بين يديك في السنة التي مات فيها. إلا أنه أعطانا صورة واضحة عن منهجه العصري نستطيع أن نجزم بأنه فاتح هذا الباب في اليمن قبل ان تعرف البلاد الجامعات والمناهج العلمية الحديثة بعشرات السنين.

وكتابه الذي نقدمه الآن دليل قوي على ما نقول فهو وإن بناه على أسلوب الحوليات الذي عرفته كتب التراث التاريخية يمزج السرد بالتحليل العصري الدقيق، ويجعل الحوادث مدخلاً لنقده وتمحيصه، وكأني به وهو يكتب مؤلفه هذا وقد أحس بجدوى العمل الذي يقوم به وتجديده ينبهنا على ما أدركناه نحن ويقول في آخر فقرة من كتابه:

«هذاما آثرنا تطريز هذا القسم الثاني به وهنا انتهى بنا القول على القسم الثاني من الكتاب وقد شمل كما رأيت جميع الحوادث والشؤن... وسنبدأ في القسم الثالث من كتابناهذا متوخين الطريقة التي سلكناها في القسمين اللذين فرغنا من العمل فيهما من الميل الى الإيجاز مع الإلمام بأطراف الحوادث ولبابها باذلين الجهد في حسن تنسيقها وربطها بوثاق الإئتلاف والإنسجام حريصين على سرد علل الحوادث وبيان آثارها واطوارها ليكون هذا الكتاب مؤدياً للحاجة التي ينشدها قراء التاريخ ويهواها رواد البحث ويجنح اليها ذوق العصر وأسلوب التاريخ الحديث».

فذوق العصر وأسلوب التاريخ الحديث هو ما نعنيه من منهج البحث العلمي ولم يكن كلام المؤلف دعوى بدون برهان فقد ايدته الشواهد العديدة التي حفل بها كتابه.

ويتجلى نفس المؤلف الثوري عندما يؤرخ للإنقلاب العثماني ويهلل فرحاً بانتصار الحق على إستبداد الحكام كما فرح به زملاؤه الأحرار واحتذوه

في ثورتهم التي جاءت بعد موت مؤلفنا بسنتين ونسمعه يقول:

«وما اطلت ايام رجب من هذا العام إلا والانباء تترى من وراء البحار بحوادث الاستانة وما جرى فيها وتلهج بذكر الانقلاب الخطير الذي شغل افكار العالم في شرق الأرض وغربها فقد نجحت مساعي رجال جمعية الاتحاد والترقي بعد فصول تاريخية طويلة واضطر السلطان عبد الحميد الى إعلان الحكم الدستوري مكرهاً ونزل على إرادة الأمة مرغماً.. وهذا كما تعلم إنقلاب له معناه وله آثاره فإن الحكومة العثمانية كانت مسخرة لإرادة الذات الشاهانية ولا راد لما قضت فلما حدث الإنقلاب التاريخي اقتضى ذلك قلب نظام الحكومة في أساليب الحكم وأضاع الحكومة الداخلية والخارجية والحربية والمالية والثقافية والإقتصادية وانتهاج سياسة جديدة».

ومع ان الكتاب ألفه في حياة الإمام يحيى فهو حينما يؤرخ يسند الأعمال في الغالب لأهل اليمن على خلاف العادة في مؤرخي ذلك الوقت ونجد عبارات تتردد في كلامه لا عهد لنا بها من قبل كالشعب والثورة والعروبة والوطن إلى غير ذلك.

ولما كان مؤلفنا أديباً قبل أن يكون مؤرخاً نجد المزاوجة بين الفنيين تتحلى من حين لآخر ونسمعه معبراً:

«وأضيف إلى هذه الإعتبارات ما تجريه الإدارة العثمانية في البلاد التي تسيطر عليها من أعمال العسف والجبروت وشدة النكالة بالرعية.. لذلك كان العمل في بث العصابات وتجهيز الأمراء واستنفار الذين وهبوا انفسهم واموالهم لهذه الدعوة وكان العمل متعدد الصور شتى الألوان مختلف الأساليب وكل ذلك يرجع إلى صورة واحدة وهي مطاردة العدو وإخافته وإنزال الضربات برجاله ومن يواليه في الطرق والمدن والقرى وفي الشعاب والجبال وفي البيوت والأدغال حرب وطنية املتها الظروف لأن الخصم عنيد ومزود بأسلحة فتاكة» إلى آخر تعبير مؤلفنا الأدبي.

وكذا نجده يمزج بين الأسلوب التاريخي المجرد وبين التحليل الناقد للأحوال والأحداث كباحث معاصر لأساليب البحث العلمي خذ مثالاً من ذلك قوله:

«وسنلم بالحديث إلماماً مقتضباً من كل ما جرى في الميادين التي ذكرنا وسنؤثر الإجمال لا التفصيل والإشارة لا التطويل ليتم لنا ما نرمي اليه من ربط الحوادث وتعليلها وبيان آثارها في أسلوب متسق وبيان مجتمع غير مفترق».

ومع ما اتسم به من حماس وطني في وصف التاريخ وثورات اهل اليمن على العثمانيين بحده ينصف الخصوم في مواطن انصافهم والثناء عليهم ويقول في بذل العثمانيين الجهد في حماية العاصمة وحراسة الأهالي إبان اشتداد ثورات المجاهدين.

«وقد قابل الأتراك هذه الحركات العسكرية الكبيرة بـرباطة جأش في صنعاء فصبروا وسهروا على حراسة الأبواب ومداخل العاصمة وعوراتها وبذلوا كل جهودهم في الدفاع عنها».

بقي علينا ان نشير أن المؤلف كتب تاريخه سنة ١٣٦٣ والبلد تشهد ضائقة اقتصادية والحرب العالمية تنذر بمستقبل قاتم فألف تاريخه من وضع غير صحي واغلب الظن احد اجزاء لجنة التاريخ التي تأسست سنة واضطلع بكتابة مراحلها نخبة من علماء اليمن ومثقفيها.

فكتب القسم الجاهلي العلامة الأديب عبد الوهاب.

والقسم الاول من صدر الإسلام حتى القرن الثالث المؤرخ اليمني المعروف محمد بن محمد زبارة.

والقسم الثاني من التاريخ من القرن الثالث حتى ظهور الدولة القاسمية

سنة ١٠٠٦ المفكر اليمني والمؤرخ الشهيد احمد بن احمد المطاع احد احرار اليمن الكبار.

والقسم الثالث من سنة ١٠٠٦ حتى سنة ١٣٠٧ هـ المؤرخ العلامة عبد الله بن عبد الكريم الجرافي ويوجد صحة ما كتبه في مكتبة جامع صنعاء.

والقسم الرابع لعله اضطلع به اثنان احد هما لا نعرفه والآخر هو مؤرخنا الأديب عبد الله بن محسن العزب وهو هذا الذي بين يديك وقد بدأ تاريخه من بعد معركة شهارة سنة ١٣٢٣ هـ حتى سنة ١٣٣٦ وفيه نبذة من حركة الإدريسي وقد قسمه الى ثلاثة اقسام:

القسم الأول من سنة ١٣٢٣ حتى صلح دعان سنة ١٣٢٩ هـ.

والقسم الثاني من سنة ١٣٢٩ حتى ١٣٣٦ وما فيها من احداث كبيرة وكان المؤلف ينوي ان يكتب القسم الثالث لما تلا هذه السنة من احداث ولم يمهله القدر فالذي بين ايدينا ينتهي عند حوادث السنة المذكورة والله اعلم.

والكتاب كله بخط مؤلفه الجميل المتناسق ويقع في ١٢٣ صفحة من القطع المتوسط.

وقد بذلنا جهداً في إخراج الكتاب ونسخه والتعليق عليه آملين أن يكون خدمة وطنية خالصة لوجه الله مفيدين للمتشوقين لتاريخ اليمن وامجاده العظيمة وبالله التوفيق.

عبد الله محمد الحبشي

(القسم الثاني من الكتاب)

انتهى القسم الأول من الكتاب بما هو دعّان والوثائق على نصوصها وهذا ابدأ القول في القسم الثاني الذي يشمل حوادث الاعوام الاتي تلت عام ٢٩ الى ان انتهت الحرب العالمية الأولى وبانتهائها انسحبت القوات التركية من اليمن ومن سائر بلاد العرب الى الأبد وتسلم جلالة الإمام جميع شؤون البلاد وانتقل الى صنعاء عاصمة البلاد اليمنية ليدير دفة الشؤون الداخلية والخارجية ويواجه الأمور من كثب ويصلح ما افسدته الحروب والمنازعات المتطاولة في هذا القطر ونعود الى القول في الموضوع الذي نتعجل البيان .

لذ ونقول ان هدنة دعان تمت على الصفة التي اوضحناها ثم وضعت موضع التنفيذ والعمل فهدأت الاحوال واطمأنت النفوس واسند جلالة الإمام اعمال القضاء في العاصمة وغيرها الى اعلام من الرجال فأخذوا يباشرون الأعمال وجلسوا على كراسي القضاء يفصلون الخصومات ويحكمون في كل ما شجر بين الناس من خلاف وساد الامر بالمعروف وحوربت المنكرات وتوارى اصحاب الدعارة والبطالة واحاط بهم الرعب اذ ان الشرع واقف لهم بالمرصاد يحاسبهم على جرائمهم وسيئاتهم

احدى صفحات المخطوط

انتهت معركة شهارة[1] بفوز الأحرار المجاهدين بعد ان اشرأبَّت إليها الأعناق، وأصاخت إلى انبائها الأسماع، وتراجع العدو صاغراً، ونكص على عقبيه خاسراً، وأسفرت المعركة التي علق عليها العثمانيون آمالهم، بماأدمى قلوبهم، وأوهن قواهم، وفَتّ في عضدهم، وانفسح الأمل أمام المجاهدين لإنقاذ وطنهم، واشتعلت فيهم عوامل الغيرة والحماسة، فاندفعوا يطهرون المواقع المجاورة لشهارة، ويطاردون الأعداء مطاردة متواصلة، واشتبك الفريقان في معارك خفيفة في سوق الثلوث[2] والجيازرة[3] وجبل شام[4] كان العدو يدبرها ليظفر بالسلامة في تراجعه وقد تكبدت القوات العثمانية في هذه المغامرة الجريئة خسائر فادحة وغنم المجاهدون غنائم ما كانت لتخطر لهم على بال، من أسلحة جديدة وامتعة ثمينة، ونقود كثيرة وبغال غير قليلة، وتتابعت كَرَّات المجاهدين، حتى أنحاز القائد العثماني إلى بلاد السودة[5] مع فلول جيشه، وقد أصبحوا نهباً مقسّماً يحيط بهم

---

(١) حصن مشهورة في بلاد الأهنوم.

(٢) قرية على مسافة ثلاثة فراسخ من شهارة.

(٣) جبل في الأهنوم شمال صنعاء.

(٤) من تلك المواضع.

(٥) بالضم مدينة شهيرة بالشمال الغربي من عمران لمسافة ٤٤ ك. م (المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية ص: ٢١٦).

الرعب، ويستولي عليهم الذّل، وتضيق بهم الديار وقد كان لهذا الانتصار الوطني رنّة فرح، وصوت سرور جلجل في زوايا القطر، وجاب سهوله ونجوده، وبعث العزائم في النفوس.

وتبليغاً لهذا النصر العظيم نشر من المقام الإمامي المتوكلي المنشور. الذي ننقله بنصّه، بلاغاً وذكرى لكل وطني غيور.

وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم، صدورها مبشّرة إلى كل بلاد، بما منّ به رب العباد، لما تقدم (فيضي)[1] على شهارة المحروسة بالله تعالى، هزمه الله هزيمة بعد هزيمة، حتى ما وقعت في محلّة، ولا نفعه جمعه الذي غالب به الرحمن، وأراد به للعرب الذل والهوان، وإلى الآن، وقد دارت عليه وعلى فريقين من رجاله الأنصار، وضويق في الأنجاد والأغوار، حتى ترك ثلاثة من المدافع التي جلبها لأضرار العرب، ومغالبة الرب، وقد بلغ أول هزيمته السودة على مسيرة مرحلتين من شهارة المحروسة والحرب تابعة إثره، وعليه دائرة، وقد قتل الله من رجاله ما فرشت به البقاع، وأنتن من جيفة قتلاهم القرى والضياع، وإستغنى الناس بالبنادق والذهب والفضة والبغال، وما تحمله من المونة والفراش والأثقال، وهبت ريح النصر للأنصار، وضربت العجم أينما توجهت في كل دار، حتى ما أنسوا بغير الفرار، ولم يستقر لهم في معقل مخيم ولا قرار، ومنهم طائفة في غربان[2] يصحبون علي رضا القرشي[3] قد تناولهم الحصار وخانتهم الأوطار وأخرى في الجراف[4]، انقضت عليهم طيور الأختطاف، وسوّلت نفوس أربعمائة

---

(١) من اشهر ولاة العثمانيين في اليمن في العصر الأخير وصل الى اليمن سنة١٢٩٠ برتبة يوزباشي ثم تعين سنة ١٣٠٢ والياً على اليمن ثم عزل سنة ١٣٠٤ وتعين مرة اخرى سنة ١٣٠٩ ونكر ذلك عدة مرات.

(٢) غربان بلدة في حاشد.

(٣) احد قواد فيضي كان قتله في السنة المذكورة سنة ١٣٢٣ (انظر ائمة اليمن ق ٢ ص ٣٢).

(٤) قرية ملاصقة لصنعاء من جهة الشمال (المقحفي ص ٨٥).

منهم بالتقدم على السَّودة بعد وقعة أولى هنالك، فتقدموا فخمدت هنالك نارهم، فتقَسّمهم أهل البلاد، كأنما سيقوا إلى النفاد والحصاد، ولم ينج منهم، ولا مما أجلبوا به حي ولا جماد، حتى لقد امتلأت البلاد أسرى، ودخل الرّعب قلوب العجم، وإليها سرى وفي الآن وأجناد الله محيطة بغيضي باشا، ومن معه في السودة، وبلادها احاطة النطاق، وقد دار عليه وعلى من معه أكثر من عشرة آلاف في العشايا والأشراق، وكأنما نشط الناس، من عقال الرّعب والإذلال إلى مرتع العز والجلال، فلنحمد الله الذي اذهب الحزن، وقمع بسيف سطوته رؤوس أهل الفتن، الذين أبطنوا للعرب، ما عنهم قد رَدّه الرحمن، وصرفهم عن الوصول إليه أكف الضراب والطعان، «حتى إذا أستيأس الرسل، وظنوا أنهم قد كذبوا، جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين[1]» انتهى[2].

وأذيع منشورٌ آخر يشير إلى ما أنتهت به معركة شهارة، وإلى عظم الفوز الذي حقق الله به آمال المجاهدين، وكبت به الظالمين، وهذا نصّه:

بعد التسمية صدورها مبشرة إلى البلاد بما مَنّ به رب العباد، وفتح على ذوي الجهاد أن فيضي باشا لما تقمص الكبر وتردّاه، نكسّه الله على ام رأسه وأرداه، توجّه يريد شهارة المحروسة، حتى إذا نصب إليها مدافعه، ورمَى ورُمِي، انزل الله نصره، وثبّت الأقدام، فهزم جيشه، ورجع عن الإقدام، نهار السبت الخامس من شوال، وقتل منهم ذلك اليوم خمسة عشر ماية، قتيل، واستولى المجاهدون على البنادق، والآنية والمونة، ومدفقاً كاملاً، وبعضاً من آلة آخر، ثم أهبطهم الأنصار، من قرى ومراتب بقتل وأسر، إلى الثلوث[3] على نحو ثلاثة فراسخ، وكان لهم رابطة في البَطِنية[4]،

(١) الآية ١١٠ سورة يوسف.
(٢) ورد هذا المنشور بصفة اخرى في ائمة اليمن ق ٢ ص ٣٣.
(٣) يعني سوق التلوث السابق ذكره.
(٤) البطنة: عزله من ناحية القفلة من بلاد خمر (المقحفي ص ٥٣).

أحاطت بهم المقاومة والأنصار، وهم نحو مائتي أعجمي، فمنهم مر قتل، ومنهم من أسر، مع غنائم وفوائد، ورابطة أخرى، في جبل سيران[1] وكذلك، حتى اذا تكامل فهزمهم أتته المقادمة والأجناد بالهجوم، ففر فيضي ومن معه، وافلتوا مدفعهم الماوزر[2] وكثيراً من خيامهم، والمحافظين عليهم فقتلوا وأستولى المجاهدون على المحطة وما فيها، وبلغت أوائل هزيمتهم نجد حبور[3]، ثم شدت الأنصار على من في القرى التي بين النجد والثلوث، فأخرجوهم منها وأخذوا مدفعاً ثالثاً، وغنموا ما لا يحصى، وقتلوا العدد الكثير، وأحاطوا بحبور وما دناه واجتمع لحرب العجم من العرب (الشَّرْفان) و (حجور) و (بنو جديلة) و (بنو عرجلة) و (العذري) و (العصيمي) و (الصريمي) و (مهدي) و (حسيني) و (سفياني) و (أهنومي) و (سحاري) و(عمّار) و(خولاني) غير من كان بشهارة، وفيها الذين نصروا الدين، وذبوا عن اعراض المسلمين، مع ما مرَّ من أخذ حمولتهم من الدومة[4] التي اصلها تسعماية جمل، والإستيلاء على المحافظين عليها وهم نحو ثلاثمائة قتلاً وأسراً إلى ما قتل الله في السَّود قصدها (الصَّعر)[5] بعرب وعجم فاستقبله احد مقادمتنا في أربعين رجلاً فهزم الله العدو، فقتلوا فيه وسلبوا وأسروا وربما بلغ إليكم صنع (بني جبر) أنصارنا وقتلهم الفرقة الطالعة من (نِهم)[6] (في نقيل الملح)، حتى أخذوا ما معهم واستولوا عليهم فهذا الذي نبشر به أهل الشريعة ونأمرهم بالتحالف على الأتراك، من مكان إلى مكانٍ ومن بلاد الى بلاد انتهى.

---

(١) سيران: من بلاد الأهنوم وهو الآن عزله من ناحية وقضاء شهارة.

(٢) نوع من المدافع واللفظة اجنبية.

(٣) حبور مدينة مشهورة من ناحية ظليمة (الحجري ص: ٢٢٧).

(٤) سوق الدومة من ناحية شهارة.

(٥) الصَّعر هو احد قواد الاتراك.

(٦) نهم: من قبائل بكيل وبلادهم في الشرق الشمالي من صنعاء على مسافة مسيرة يوم للراجل (الحجري ٧٤٦).

تلخيص حوادث ختام سنة ١٣٢٣ هـ .

أفاق الناس من سكرتهم وثاب الرشد إلى عقولهم بما أثّرته معركة شهارة، وتركته مثلاً لا ينسى، وعبرة لا تخفى، وشدَّ ما كانت الخيبة والفشل في المقامات[1] العثمانية، فإنها كانت كل يوم تنشر للناس في صنعاء وغيرها أنباء تختلقها، وتحكم نسجها وتهوّل ما شاءت على الناس، منذ توجهت القوات الكبيرة تحت قيادة الوالي فيضي باشا، وكان الناس ينصتون إلى تلك الأنباء واجمين، ولا سيما ولم يكن هناك من الفريق الآخر ما يكذبها، ويفنّدها بل استمرت الدعاية العثمانية، تخترق أجواز القضاء، وتدعي أنها فرغت من مهمتها، وانتهت من واجبها، فإذا بالحوادث تتغير فجأة، وإذا بالآمال تنزوي وتنقبض، وإذا بالشّعب يجهر في غير خوف ولا فشل، إن القيادة العثمانية هزمت، وتكبدت خسائر فادحة، وفقدت أكثر رجالها، وإذا بالقائد الأعلى فيضي باشا ينهزم مهرولاً، لا يلوي على شيء، فيسمع الناس عنه أنه أمعن في الفرار، والتراجع، حتى انتهى الى (خِمر)[2]، ثم لم يلبث أن تحول إلى (عَمران)[3]، وفيها اعتزم الراحة والسكون ريثما تتجمع الفلول، ويستعيد شيئاً من الراحة والهدوء، بعد ما قاساه من أهوال، وعاناه من متاعب، وما تلطّخ به من عار، وآب به من خزي، بعد أن خسر قوته، وأضاع مهابته.

وقد كان من آثار هذه الهزيمة، تمرد كثير من الجهات الخاضعة للسلطة العثمانية، عن تسليم الضّرائب الحكومية، وعن الإنقياد والإستسلام لما تفرضه تلك السلطة، وكثر المتطوّعون في الجهاد، ونشطت العصابات للحروب المحلية، وأحدق الخوف بالسلطات العثمانية، في القسم الأعلى

---

(١) جمع قائم مقام من رتبهم العسكرية.

(٢) من المدن المشهورة من حاشد.

(٣) عمران: مدينة مشهورة من همدان شمالي صنعاء.

من اليمن جميعه، واخذت القيادة العثمانية، تجّد في ضم القوات المتبعثرة، وجمع شتيتها، ونقلت قوات من الجهات الجنوبية والغربية، إلى صنعاءوالى عمران لفداحة الخسارة التي أصابتهم، منذ ابتدأت معركة شهارة، إلى أن استقر فيضي في عمران، وكانت القوات العثمانية لا تتراجع إلّا بين هول المعارك، وصليل السيوف في القرى والسهول والأودية والجبال، حتى تناثرت الأشلاءوالجثث على طول الطريق، وتعذر المرور، لشدة النتن.

وقد كان في مبادي زحف القوات العثمانية على شهارة، تفكير بعض الزعماء، في شأن القاسمي الداعي[1] في بلاد الشام، ورأوا أن من الحزم، إعادة التفاهم معه وحسم الخلاف، لتتفرغ الجهود لدفاع الأعداء المغيرين على إلبلاد، وأملاً في توحيد الصفُوف، وتسوية العلاقات، فكتبوا إلى القاسمي إنا رأينا تحكيم أربعة من خيرة العلماء أولي الحزم، وما قرروه وأجمعوا عليه يكون اتّباعه، والإنقياد له، فأعلن القاسمي موافقته، ثم عرض هذه الإقتراح على الإمام، فقال: ذلك ما كنا نبغي، وسارع إلى الوفاق، ولما علم القاسمي أن رجال التحكيم قد استعدوا للنظر في الخلاف، سارع فأعلن انه لن يرضى بحكم احد، وإن زعامة لا يمكن ان تقبل التحكيم، ررأى قبائل خولان[2] وجماعة[3] وسحار[4]، وغيرها سامعة له مطيعة، فانخدع بما سوَّلته نفسه، وأصرَّ على الشقاق ومجاذبة الحبل فكان هذا أعظم عامل للإمام في التفكير الجدي للقضاء عليه، وبعد انتهاء معركة شهارة أخذ الإمام في وضع الخطط، وإعداد العدد، لمنازلة القاسمي وإرجاع بلاد الشام الى

---

(١) هو الداعي حسن بن يحيى القاسمي ولد بهجرة ضحان سنة ١٢٨٠ ومرت له خطوب مع الامام يحيى وردت في كتابنا هذا وغيره توفي سنة ١٣٤٣ (نزهة النظر ص: ٢٤١).

(٢) خولان: من صعدة ومنها يتفرع القبائل الآتية وهم خولان بن عامر بن الحاف.

(٣) من خولان. (٤) من خولان.

حظيرة الطاعة، وموقف الجماعة، وهذه خطوة وطنية كبرى لأن بقاء هذه الأقطار في العناد والخلاف يدعو الى القلق، لأنها واقعة خلف مراكز حركات الدفاع اللاّتي يديرها جلالة الإمام ضد الأتراك العثمانيين.

وما أطل شهر ذي الحجة الحرام إلاّ وطلائع القوات الإمامية قد وصلت (ساقين)[1] وهي من أهم المراكز في بلاد الشام، وأخذت تناوش القبائل الشامية مناوشة حامية، وفي (الكَرَب)[2] كانت معركة اشتبك فيها الفريقان عدة أيام، واستطاع القاسمي لقربه ان يجمع جيوشاً جرّارة من الموالين له، ولكن القوات الأمامية استطاعت مواصلة الثبات والكفاح بجهود عظمى، ووافاهم المدد من (حجور[3] وبكيل)[4] تحت رياسة الشّرقي[5]، فكان هذا الثبات سبباً لانقياد كثير من القبائل، ورجوعهم الى رأي الجماعة، وفي أثناء هذه المناوشات العنيفة، إنقادت (الكَرَب) وكثير من سحار، وشعر القاسمي بحرج موقفه، ولكنه مصر على عناده، على رغم التنازل الذي تنازل له الإمام، فقد ضمن له بقاء زعامته، وتوفير مادته، وتدعيم نفوذه في الجهات الموالية له، إن هو فاء إلى الوفاق، وانخرط في سلك الجماعة، وكل هذه الجهود ذهبت هباءاً وشاء الله ان تكون الكلمة الفاصلة هي كلمة القوّة، وصوت القوة هو المسموع، منذ عرف التاريخ وفي كل زمن ومكان.

وقد كان من دواعي البشر والابتهاج أن الإمام زار شهارة، ذاك المعقل الذي يستحق كل إعجاب وتقدير، فوافى إليه في شهر ذي القعدة، وطاف

---

(١) ساقين مدينة من حولان بن عمرو وبلاد صعدة.

(٢) مدينة وقبيلة تابعة لساقين.

(٣) بلد من سراة قدم حجة (المقحفي ص ١١٠).

(٤) قبيلة مشهورة من همدان «تسع منطقتها الى عدة نواح».

(٥) هو العلامة محمد بن سعد الشرقي ولد في محرم سنة ١٢٨٢ وتولى عدة مناصب وكان ورعاً زاهداً اوصى بكل ما خلفه لبيت المال توفي سنة ١٣٥٢.

ربوعه وجوانبه، وألقى عليه نظرات فاحصة، وأصلح، ما دَمْرته معارك الحرب الطاحنة، وقوّى حامياته، واجتمع في شهارة من الأعيان والعلماء والزعماء جم غفير، وتلاقت فيها القلوب مبتهجة بما أولاها الله من نصر، وما منحها من تأييد، ولما رجع الإمام إلى (القفلة) مستقرة توافدت عليه الوفود، وأمته الجموع، وانثالت عليه الجماعات، من كل صوب، وقد رأى بعض الزعماء مواصلة الهجوم والطراد، ومضايقة القوات العثمانية، ولكن الإمام رأى أن من الحزم التريّث والتأني، ومواصلة الجهود للقضاء على حركات أهل الشام[1].

على انه قد حدثت حوادث في خلال هذه الشهور الثلاثة، منها معارك دامية حدثت في (آنس) في القسم الجنوبي الغربي من البلاد، فقد اشتبكت في هذه الجهات طوائف من القوات العثمانية، مع جماعات من المجاهدين، تحت رياسة الشيخ علي المقداد[2] والسيد اسماعيل المروني[3]، وكلاهما من رجال الوطنية الصادقة والولاء العظيم.

وانتهت هذه المعارك بفوز المجاهدين فوزاً بيناً، في (بيت الذيباني) و (بيت عيسى) ومخلاف ابن حاتم، ووصل المجاهدون إلى وادي الجار[4] بالقرب من صنعاء بعد أن أنزلوا بالقوات العثمانية ضربات قاصمة، ونقلت رؤوس القتلى إلى وعلان[5]، وعادت القوات العثمانية متراجعة إلى ذمار، وقسم منها إلى صنعاء.

---

(١) يعني اهل صعدة الجهة الشمالية.

(٢) هو الشيخ علي بن المقدادي راجح الآنسي توفي سنة ١٣٣٩.

(٣) هو العلامة والمؤرخ اسماعيل بن اسماعيل بن يحيى المروني ولد بهجرة المرون سنة ١٢٩٣ وكان من الفرسان الشجعان انيطت به عدة اعمال وتوفي سنة ١٣٦٦.

(٤) من ناحية بلاد الروس احدى نواحي صنعاء (المقحفي ص ٧٧).

(٥) بلدة جنوبي صنعاء لمسافة ٣٢ ك م وهي من بلاد الروس (المقحفي ص ٤٦٦).

وانطوت صحيفة هذا العام عام ١٣٢٣ هـ، بعد أن سالت فيه الدماء انهاراً، وحدثت فيه أروع الأحداث وأنكاها، وتقلبت الأيام فيه تباعاً، وحصدت الحروب والمجاعات، والوباء عدداً لا يحصى، ولم يستقر في نهايته حال، ويلي هذا حوادث سنة ١٣٢٤ هـ.

(سنة ١٣٢٤ هـ وحوادثها)

رأيت في العام الذي فرغنا من تلخيص حوادثه الجسام، وخطوبه العظام، أنه ارتحل وقوّض خيامه بين الأسى والحسرة، وبين الدماء والدموع وبين الدمار والخراب، وحالة البلاد تدعو إلى الحزن العميق من جميع جهاتها، فالقوات العثمانية، ما تزال رابضة قابضة على القسم الجنوبي من الشّعب، وعلى القسم الغربي جميعه، وهذان القسمان هما موطن الثروة ومنابع الثمرات الغزيرة، والخصب النامي.

وكل يوم وللقوات العثمانية هدف، يرمونه، وقصد يتجّهون إليه، ولهم من أبناء البلاد أشياع وأتباع وخَونة وأنصار.

والقاسمي وقبائل الشام، قد ركبوا قرونهم، ولذَّ لهم خذلان وطنهم، والحاجة في البلاد ملحة، والمجاعات قد فتكت فأمعنت، وليس في البلاد غير بصيص نور يشع من مقر الإمام ورجاله المخلصين، في بقعة في الجهة الشمالية بعيدة عن أكثر القبائل، قليلة الخصب والمواصلة، محفوفة بالمصاعب، ولكن هذا النور الذي ينبثق بقوة، فتنظر إليه العيون، وتتطاول إليه الأعناق، هو نور الحقّ والوطنية، والإسلام والعروبة، فلا غرو إذا استطال وانتشر، وقاوم ظلمات الباطل والعدوان والضلال، والعناصر الغريبة.

طلع هلال العام الجديد وهذه الطائفة التي أخذت على عاتقها إنقاذ الوطن، ورفع راية العدل ونصرة الحق، مواصلة لأعمالها مستمرة في

جهادها، دائبة في مساعيها بقلوب يغمرها الإيمان والعقيدة الراسخة إنه لا بد من ظهور الحق وإن كره المبطلون، وقد كان فاتحة أعمال هذا العام إرسال الشيخ علي بن عبد الله المقداد مع ثلاثة من رؤوساء (بني جَبرة)[1] من خولان الجنوبية لينظم حرب العصابات في أطراف الحدا[2] وجهران[3] وآنس[4] والأعروش[5] من خولان وفي أطراف عنس والمغرب.

وبعد مغادرته للمقام الإمامي، ترامت الأنباء أن جماعة من المجاهدين تحت رياسة الشيخ عبد الله بن محسن راجح في عنس اشتبكت مع قوة كبيرة عثمانية، واستمرت المعركة ثمانية أيام، انهزم في نهايتها المجاهدون لقلتهم، وبعدهم عن المدد، وتفوّق العدو عليهم، ولما تطايرت الأخبار بأن المقداد ينظم الصفوف، لحرب شعواء سارعت القيادة العثمانية بإرسال الجنود إلى (معبر)[6] وأقاموا المخافر على طول الطريق بين صنعاء وذمار، وتمكنوا من إعداد قوّة كبيرة، ولما تبين لهم ان المقداد في (زراجة)[7] بلد الحدا ومعه من المجاهدين عصابة، وكان كثير من البدو، قد تخلّفوا عنه وتفرقوا عن مركزه، كان من القيادة العثمانية احكام خطة الهجوم على (زراجة)، وفيها اشتبك الفريقان في معركة تاريخية مهيلة ، فقد داهمت القوات العثمانية رجال الإمام ولكنهم لم يجدوا إلّا بسالة واستماتة، حتى

---

(١) عزلة من ناحية مغرب غس واعمال ذمار (المقحفي ص ٧٩) والمعنية هنا من قبائل خولان العالية تمتد مساكنها من اسفل نقيل شجاع الى بلاد خولان في جهة الجنوب والى اسفل اشراف مارب بالشرق (المقحفي ص ٧٩).

(٢) قبيلة مشهورة في الشمال الشرقي من ذمار بمسافة ٣١ ك. م (السابق ص ١١١).

(٣) ويعرف بحقل جهران ارض واسعة من اعمال ذمار (السابق ١٢٥).

(٤) قضاء واسع من اعمال ذمار.

(٥) قبيلة من خولان الطيال.

(٦) مدينة بالجنوب من صنعاء مسافة ٦٨ ك. م تقع في وسط قاع جهران.

(٧) مركز ناحية الحدا على مسافة يومين جنوباً الى الشرق من صنعاء.

تهدمت البيوت، وخرج المجاهدون من تحت الانقاض المتهدمة بعد صبر وثبات لا يتحلى به، إلّا المخلصون.

وفي اثناء الليل انسحب المجاهدون من (زراجة) وقد صارت أطلالاً بعد خسارة تحمّلوها، ولكن الأعداء سلموا الثمن غالياً، فقد أصيب منهم عدد كبير بالقتل، وأسرع المجاهدون إلى بلاد الروس ثم الى اليمانية العليا.

وكانت هذه المعركة في شهر صفر من هذا العام.

وفي هذا الشهر انتقل الإمام إلى (المّدان) لتأديب الذين تمالؤا على حاكم الشريعة هناك واستخفوا به.

وفي ربيع الأول عاد الإمام إلى (القفلة).

وفيه أن قوة عثمانية وصلت الى جبل (نيسا)[1] وقوة اتجهت الى الأشمور[2].

وفيه اشتبكت قوة عثمانية مسلحة مع رجال المقداد في خولان واشتد العراك فيها وخسرت القوات العثمانية رجالاً وسلاحاً في هذه المعركة، وكان من أبطال المجاهدين فيها السيد عباس بن علي بن إسحاق[3] والسيد إسماعيل المروني.

وفيه أتى إلى الإمام السيد احمد بن إبراهيم الهاشمي[4]، من أعيان

---

(١) نيسا: عزلة من ناحية المغربة من اعمال حجة (المقحفي ص ٤٤٢).

(٢) الأشمور: جبل مشهور بالغرب من مدينة عمران بمسافة ٢٢ ك. م (السابق ص ٢٥).

(٣) هو العلامة عباس بن علي بن احمد اسحق ولد بالجراف سنة ١٣٠٢ واخذ عن جماعة من علماء عصره وتولى اعمال جهات خولان الطيال وشارك في حرب الاتراك توفي سنة ١٣٦٥.

(٤) هو العلامة احمد بن الاصبح بن احمد الهاشمي ولد برحيان من صعدة سنة ١٢٦٠ ونشأ بصعدة وكان من اعيان عصره توفي سنة ١٣٤٢.

صـورة وعلمائهـا، في وفد يحملون إلى الإمـام نبأ عقـد هدنـة عقدوهـا مـع القاسمي إلى شهر رمضان، وعادت الجيوش، وقوادها إلى مقر الإمام.

وفي جمـادي الأولى أغارت قـوات عثمانيـة كبيرة على البـون والصَّيَـد وغيرهما من بلاد حاشد الواقعة بقرب عمران، وعاثوا وسلبوا أموالاً طائلة.

والقـوة المرابـطة في نيسا أغـارت على مـا بجـوارهـا وارتكبت أعمـال النهب والتخريب.

وفي آخـر هذا الشهـر، وصل وفـد من الحجاز تحت ريـاسة الشـريف حمزة بن عبد الله، ومعه الشيخ العالم عبد الرحمن الياس المدرس بالمـدينة المنـورة على ساكنهـا افضل الصـلاة والسَّلام، ومـع هذا الـوفد رسـالة، من الشـريف علي بن عبـد الله الحسني[1]، وروح الـرسـالـة الحث على مـوالاة الدولة العثمانية، والإسراع إلى عقد صلح معها، وأفاض كـاتب الرسـالة في قصده هذا، إفاضة طويلة، وبعد أن استـراح الوفـد، واستعاد نشـاطه، تسلّم رسالة الرَّد على ما جاء به، بعد أن لقي من الحفاوة والإكـرام ما ليس بعـده غاية، وقـد كان الـرّد منطويـاً على ما أشـرنا إليـه سابقـاً، وصرحت بـه كتب الإمام إلى السلطان العثماني وغيـره، من أن فساد ولاة الـدولة العثمـانية في اليمن وإرهـاقهم للرعية، واستخفـافهم بسلطان الـدين، ولـوعهم بـالجـور، ومجاهرتهم بالمنكرات، هو الباعث على منـاصبتهم، وتقليم أظفارهم، وإنـه ليس من الرأي ولا من العقل، ترك الأمة مذبوحةً، تحت أقدام الغريب الـواغل، وأن الـدين يأمـر بالنهي عن المنكـر، والأمر الـذي لإنـزاع فيـه أن اولئك الولاة هم سبب هذه الفتن، يثيرونها ويدبرون أمرها، فالتّبعـة عليهم، واللوم على من يؤيدهم الى ما شرحناه سابقاً.

---

(١) هـو الشريف علي بـاشا بن عبـدالله بن محمد بن عبـد المعين من اشراف مكـة وليهـا سنـة ١٣٢٣ وعزل سنة ١٣٢٦ فانتقل الى مصر وتوفي بها سنة ١٣٦٠ (الاعلام ج ٤ ص ٣٠٩).

وفي أوائل هذا العام نشر من المقام الإمامي منشور الى جميع جهات الشعب وهذا نصّه:

بعد التسمية، ان من انتصح وعرف نفسه وألزمها الكف عن أضرار المسلمين وعن تقريب ما بعد عن الظالمين، وأن لا يترك نصيحة لله، ولا يكتم عنا شيئاً مما أسر إليه العجم به أو أذاعوه، وعلمه وما علمناه، مما يترقّبونه أو يعزمون عليه، ولن لا يعترض قباضنا، ولا يدّل عليهم ولا يسعى لهم بإخافة سِّراً ولا جهراً ولا يعاقب من أوصل واجباته إلى الإمام، ولا يتناوله بمكروه، ولا يجمل دين الله إلاّ في سبيل ما به أمر الله، وتكون مصاحبته للعجم عليهم لا لهم، وباطنه معنا وظاهره معهم، فلأجل التمسك بهذه الخلال، من غير حدث، فليكن واثقاً منّا بأنّا لا نواجهه بشيء يكرهه فليعلم هذا انتهى.

وفي هذه الآونة، وصل خطاب من محسن بن عبد الله بن الحسين الرَّصاص اليماني من مصر إلى الإمام يقول فيه: أنه خرج من وادي اليمانية[1] سنة ١٢٩١ هـ قاصداً الأستانة، فكتب الله له الإقامة بمصر، وأنه وقف نفسه وقلمه ومحبرته لخدمة بلاده، واستأذن من الإمام دوام المراسلات بواسطة دولة إيطاليا التي وصفها بقوله إنها أقرب دولة متحببة إلى الإسلام والمسلمين، وبقوله الغيورة على الإنسانية التي نصبت للتأليف بين العالم الإنساني رجالاً صادقين، كما تشهد لهم رسائلهم، وعدَّد هذا الكاتب طرفاً من متن هذه الدولة التي رآها في نظره خدمة للإسلام والإنسانية، إلى أن قال باللفظ:

(وقد خاطبت قنصلها بالحديدة أن يعتني بكل خدمة تختص بنا وبكم من مراسلات وخلافها ولا يخفى دولة الإمام أن كل دولة تقع مع أخرى في

---

(١) اليمانية: عزلتان من خولان الطيال بالجنوب الشرقي من صنعاء (المقحفي ص ٤٧٧).

إشكال وحروب، فأمهرهن سياسةً التي تتحبَّب إلى صديقة لها لتشوش أفكار عدوتها، وبهذه الوسيلة تظهر عليها، فماذا علينا يا مولاي لو خاطبنا ملك إيطاليا بواسطة سفيره في مصر في قبول الحماية لبلاد حاشد وما جاورها، حيث انها لم تكن تحت سلطة الدولة العثمانية على شروط مختومة بختم المملكة، يكون مبناها الإكتفاء بقبول دخول تجارتها بلاد اليمن، والبحث عن المعادن، وتحليلها بواسطة وفد كيماوي، من علمائها، على مصاريفها، وللحكومة اليمنية جزء بعد حساب المصارف.

إلى أن قال: ولا يخفى مولاي حسن مجاورة ومعاملة دولة إيطاليا مع أهالي مصوّع[1] والصومال وتقرير زعمائهم واحترامهم الشريعة، ومرحمتهم وعطفهم، فنحن على ثقة تامة ان هذه الدولة تكون نصيرة لدولتكم، دون مطامع في البلاد، لأن الذي قَوَّى عزمنا على هذا رجل من خلاصة المسلمين يدعى محمد علي بيك علوي المترجم الأوّل في السّفارة بمصر، وهذا الرجل من الغيورين على الإسلام والمسلمين).

هذا لفظ هذا الخطاب والتمس كاتبه في آخره إبلاغ سلامه إلى السيد يحيى واحمد الكبسي وأنجاله.

وهذا الكتاب السياسي المملوء سمًّا ومكراً وخداعاً، قوبل برد من الإمام مطول، فيه بيان ما تأتيه السلطة العثمانية من جور ونكر وظلم وإرهاق، وأن هذا هو السَّبب في استمرار المعارك والخطوب، وإن سلطان الإسلام لا يعلم ما يجري من ولاته في اليمن، وأن مما ترغب إليه النفوس عقد صلح يبرم مع الدولة العثمانية إلى أن أتى في الجواب الإمامي ما لفظه (وإنه إذا سكنت الحروب، ووقفت الخطوب، أمكن تأمين الطرقات وفتح أبواب التّجارات وإستنار أهل القطر بنور المعارف، فانتفعوا وانتفع منهم

---

(١) مصوع: مدينة بارتريا وميناء على البحر الأحمر (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧١٠).

أهـل المهارة والـدرايـات في جميـع الممـالـك، وسّـد بهـذا بـاب كبيـر من الخسارات والمهالك، هذا ما جاء في الرد الإمامي وأنت ترى ما فعلت لك باللفظ مما يـدل على بعد نـظر وكياسـة دقيقة وحكمـة رصينة وكيف قـوبلت تلك المقتـرحات الأشجـة الواردة في كتـاب الرصـاص بالإلغاء والإعـراض والطرد، وكيف دعاه إلى أن الأولى التفاهم مع الـدولة العثمـانية المسلمـة، لتضع حَدّاً للفتن والقلاقل، وأن لا حاجة إلى شيء اكثر من هذا.

وبهذا المعنى كان الجواب على محمد علي بيـك مترجم دار السفـارة الأيطالية بمصر، وفي هذا بلاغ لقوم يعقلون.

ولم يحـدث في هذا العـام حادث يستحق أن يسطر، غير مـا ذكـرنـا، سـوى المحاولـة التي بذلهـا بعض الزعمـاء لوضـع أسـاس لصلح يعقـد بين الإمام والسلطة العثمانية، فقد خرج معاون الـوالي العثماني بصنعـاء (محمود نديم) وبرفقته السيدان الكبيـران قاسم بن حسن العـربي[1] وعبد الله بن علي عبـد القادر[2] واتجهـوا إلى (ريدة) من البـون حيث قابلهم من طرف الإمام ثلاثة من الضّخام الأعلام، سيف الإسـلام محمد بن الهـادي، وعبد الله بن ابـراهيم[3] واحمد بن يحيى عـامر[4] من عليـة السّـادات النّبـلاء، ولم تَتَـوفّق الجهود لتمام المقصود، وكان هذا في شعبان من هذا العام.

وإذ قد لخصنا لك أيّها القارىء الحوادث الحربية، وأشرنا إلى مجمل الحالة السياسية، في هذه الظروف، والآن نتحفك بتحفة فنّية طريفة، قطعـة من الشعــر الـرَّصين الجــزل من إنشـاء القــاضي الأديب حسين بن احمـد

---

(١) من العلماء الافاضل ولد سنة ١٢٩١ وتولى مناصب كثيرة وتوفي سنة ١٣٨٠.

(٢) ولد بصنعاء سنة ١٢٨٢ واحد من علماء عصره وتولى مناصب الدولة العثمانية وكـانت وفاتـه سنة ١٣٥١.

(٣) ولد بصنعاء سنة ١٢٧٨ وكان اديباً مهماً جمع بين الرئاسة والدراسة توفي سنة ١٣٤٩.

(٤) ولد بجبل الأهنوم سنة ١٢٨٢ واخـذ عن علماء عصـره وكان مكثـراً من الطاعـة وتولى عـدة مناصب توفي سنة ١٣٢١.

العرشي[1] قدمها لجلالة الإمام عند زيارته لشهارة وهي آية في الإبداع ودرّة من درر البيان قال رحمه الله:[2]

عن البدو إذا ما أنت تروي وتنسب ... أعِده فما أحلاه لفظاً[3] وأعذب
وحُييت أي الربع جاورت مرّةً[4] ... مشبرقه ام ذو القباب المغرب
وهل أبصرت عيناك إذ أنت عندهم ... مهاها اللواتي دونها الوصل يحجب
بصرواح[5] اوبيحان[6] اونهج مادب ... مهابط ما شاد الكلاع[7] ويحصب[8]
منازل فيها للضيوف منا زل ... تعدّ وفيها مرحبٌ وتأهّب
بها غادة الغيد التي الرّوح عندها ... يباع ويسبي كل حين وينهب
هداني إليها العشق قبلاً ودلّني ... عليها غرامي والخباء المطنَّب
فطفت حواليه وحولي وحولها ... رجال لها في موكب الحزم تركب[9]
أغيّر شَعري حين ادنو مبسّماً ... غليهم وادعو بالبياض فأخضب
أغالطهم بالشَّيب كي لا يلومها ... على القرب مني ذو إخاءٍ ولا أب
مهاة أطاع العشق نفسي ونفسها ... كلانا له فيه مقام ومنصب
أخاطبها باللَّحن وهو خطابتي ... إليها فتدري ما به اللَّحن يعرب
على انني لو بحت بالأمر لم أجد ... بعاداً ولكن صاحب الحب يرعب
وشخص من البلّوى يشفي صبابة ... فؤاد الذي ما كان من قبل يشرب

---

(١) اوردها ايضاً المؤرخ زبارة في ائمة اليمن ق٢ ص١٠١.

(٢) زبارة: عندي.

(٣) زبارة: جاوز به ضحى.

(٤) صرواح: مدينة تاريخية قديمة معروفة.

(٥) بلدة من الجهة الجنوبية من البيضاء وفي جهة الشرق من حضرموت.

(٦) بلدة مشهورة شرقي صنعاء على مسافة اربع مراحل للمجد وبها سد مأرب (الحجري ٦٢).

(٧) الاسم القديم لما سمي اليوم بالعدني ويدخل في الكلاع ناحية حبيش وذي السفال والسحول وغيره (المقحفي ص ٣٤٩).

(٨) من سمارة الى الكلاع (نفسه ٤٧٠).

(٩) زبارة: مركب.

وغصن إذا قـايسته في اعتـدالـه على قدر غصن البانِ فالبان أحـدب
هي الصبح وجه الصبح معنى لوجهها ولكن شعـر الفـرع ليـل وغيـهب
تعلقتهـا مذ كنت جفـراً[1] ويـافعـاً[2] فمن اين لي من بعد ما شخت مهرب
وبَّـرأتهـا من لـوم من كـان عاذلاً يتم عـليهـا بـالـجفـاء ويـكـذب
اراك تـرى أني تسـورت حـائـطاً عليهـا وأني في الـذي قلت مـذنب
وتحسبنـي شبَّـبت في ذات بـرقـع أبى الله لي هـذا وعقـل مجـرب
ونفسي التي لا تقبـل اللّوم عرضهـا أعَـفُّ وأولى بـالـعفـاف وأنـجـب
كنيت بذا عن شيمـة العـرب انهـا هي الغيد والوجـه الجميل المحبَّب
وعن منصب الحق الـذي كنت ردته ومن دونـه بيـد هنـاك وسبسب[3]
وبـالعشق حَبَّيهـا على كـل حـالـةٍ وحبّي لمن يـدنـو إليهـا ويقـرب
إلى عـامر الـدين الذي بـات بـاقيـاً لـه والـذي لـولاه قـد كـاد يخـرب
إلى النـاشـر الإيمـان في كـل بلدةٍ ومـظهـره والنَّـاس تلهـو وتـلعب
إلى ذي يـدٍ كَفَّت بكفٍ اعتصـامهـا مـظالم فيهـا امـة العجم تـرسب
رمـاهم بهـا جـرداً عتـاقـاً كـأنَّهـا كـواسـر عقبـان تجيء وتـذهب
وأرسلهـا شعثـاً غضـابـاً مشيحـة تصيـد الـذي مـرت عليه وتسلب
وأرخى لهـا بعض العنان فـأصبحت تـوام الوغـا ما عـاقهـا عنـه مـوكب
أحاطت على صنعا أزال ولم تـزل تـدك الصَّياصي[4] والجبـال وتـركب
فـألقت أزال الخير مـا جن جـوفهـا من العجم وانحط الضـلال المركَّب
وغـطَّا عـلى الأروام ثـوب أمـانِ فـكـان لهـم فيـه هنـاك تـقلّب
ولما عتى العاتي وكـان الذي مضى مضى وهو كالليث الهزبري مغضب
لـه نـاب ليث فهـو يـدريـه قـاطعـاً منى كـل غي حين يلوي ومـخلب

---

(١) الجفر ولد الشاة ابن صغير كولد الشاة.
(٢) يافع: غلام يافع ترعرع وناهز البلوغ.
(٣) السَّبسب: المغازة.
(٤) الصياصي: القلاع.

وأمّت بغاة العجم حصن شهارة … ومن دونه حفظ من الله يغلب

فما رجعوا إلاّ على متن شرّ … لهم فيه باب خلفه الغر مشعب

شهارة ذات الفخر والمجد والتي … لها المثل الأبهى الذي كان[1] يضرب

سماء بناها الله من صخرة رست … على منبت بالعز والفخر مشّرب

إذا أوقدت فيها المصابيح ليلةً … ففي كل برج حين أبصرت كوكب

وسقف يحاك النجم يحوي معارجاً … على كل معراج حروس ونُوَّب

كأن سناميها الأميري وفائشاً[2] … سنا ما بعيرين لذا ذاك يعقب

يطوقها حزم وعزم وشاهق … وآساد حرب والحديد المذرّب

لأحجارها ما للسيوف مبيدة … تقدّ وتفري وهي ترمى وتقلب

عمرت بها الأبراج وهي حصينة … وزدت بها نقباً من الصخر يثقب

تروساً[3] ترد (الطوب)[4] عما يريده … فما برقه إلاّ كما قيل خلَّب

واسقيتها ماء الحياة فلم تكن … لذي ريبة منها سوى الموت مشرب

خلعت عليها حلة المجد فاغتدت … تتيه بها فوق الجبال وتعجب

وطيَّبتها بالعز وهي جديرة … به والمحل المثمر العزَّ طيب

وما أنت إلاّ الألمعي وانني … أعيذك بالرحمن تزري وتعتب

فأني لقد انفقت مما ملكته … وذلك فيما يقدر المرء يندب

فغطّ على عيبي بستر فانما … يغطي على العيب الكريمُ المودَّب

ولي أدبٌ فالبعض ابديه تارةً … وبعض توالٍ فهو سرٌّ[1] مغيب

عليك سلام الله ما لاح بارق … وما أمطرت من بارق الصيف اسحب

انتهت[5] ويلي هذا القول في ما جدَّ من الحوادث العظام.

---

(١) زبارة: بات.

(٢) اشارة الى شهارة الأمير نسبة الى الامير ذي الشرفين والى شهارة الغيش وهي قلعة مساوية لشهارة الأمير.

(٣) جمع ترس وهي الدرقة التي تصد السهام.

(٤) الطوب: المدفع باللغة التركية.

(٥) قلبت: هذه القصيدة من الشعر الحماسي الذي يقال لاذكاء همم المجاهدين في مناجزة=

«أحوال اليمن في خمس سنوات من شوال سنة ١٣٢٤ هـ الى شوال سنة ١٣٢٩ هـ»

الكلام على حوادث هذه الأعوام الخمسة يقع في ثلاثة فصول:

الأول في إنفاذالأمراءوبث السرايا وتجهيز العصابات لمضايقة القوات العثمانية في كل مكان تسمح الظروف بالعمل فيه والمقاومة بين أهله، ويشمل هذا جميع ما حدث من شوال سنة ١٣٢٤ هـ الى ختام سنة ١٣٢٦ هـ بعد إعلان الدستور العثماني، وإرسال الإمام وفداً إلى الأستانة.

الثاني: في أحوال سنة ١٣٢٧ هـ وسنة ١٩٢٨ هـ وماطرأعلى الحالة من سكون وهدوء زمن ولاية تحسين باشا الثالث في حوادث سنة ١٣٢٩ هـ وغاراتها وحروبها وتنتهي بعقد صلح (دعَّان) في شوال سنة ١٣٢٩ هـ، وبهذا الصلح وضع الفريقان السلاح وتصافحا للسَّلام وحل الوئام محل الخصام وبهذه الفصول الثلاثة ينتهي القسم الأول من مؤلفنا هذا كما أشرنا إلى ذاك في ديباجة الكتاب[1].

(الفصل الأول)

كانت حادثة شهارة تجربة ذات شأن، عرف الناس منها أن قوة الدفاع يرتكز على الإيمان الصادق، والعقيدة الثابتة، والشعور بالواجب كما أنها كانت درساً بليغاً عرف الإمام ورجاله أن القوات العثمانية التي تعزّزها التجريدات المتوالية من أطراف المملكة العثمانية المترامية الجوانب، لا بد وأن تفكر في عمل جدِّي، قد يكون من الصعب مواجهته، ولا يؤمن أن يعود فيضي ورجاله إلى إعادة الكرة على شهارة والبلاد التي يستقر فيها

= الأتراك، وايرادها هنا مما يفيد الدارسين لهذا الجانب من الشعر السياسي.

(١) يلاحظ ان المؤلف لم يكتب هذه الديباجة وان الذي وصلنا هو الكلام على الحوادث بعد انتهاء معركة شهارة فيحقق.

الإمام وأنصاره، وأضيف إلى هذه الإعتبارات ما تجريه الإدارة العثمانية في البلاد التي تسيطر عليها، من أعمال العسف والجبروت، وشدّة النكاية بالرّعية، والقضاء الوبيل على من ألتصقت به تهمة الموالاة للإمام ورجال الجهاد.

لذلك كان العمل في بثّ العصابات، وتجهيز الأمراء واستنفار الذين وهبوا لهذه الدعوة أنفسهم وأموالهم، وكان العمل متعدّد الصور، شتى الألوان، مختلف الأساليب، وكل ذلك يرجع إلى صورة واحدة، وهي مطاردة العدو، وإخافته، وإنزال الضّربات برجاله ومن يواليه، في الطرق، والمدن، والقرى وفي الشعاب، والجبال، وفي البيوت، والأدغال، حرب وطنية، أملتها الظروف لأنّ الخصم عنيد، ومزود بأسلحة فتاكة، ووراءه المدد المهيل، وفتكات صارمة، حتى دخل الرعب إلى كل قلب وأصبحت رجال السلطة العثمانية في وجل ورعب، في بيوتهم في العاصمة وغيرها.

وفي شوال كان قتل عبد الله بن علي المكرمي من رجال الباطنية وأحد أنصار السلطة العثمانية

وفي حوالي صنعاء كان سلب بعض ضباط الجيش العثماني أسلحتهم، وامتدت أيدي العصابات (بير العزب) القسم الغربي من العاصمة، وفيه بيوت أعاظم الرجال العثمانيين

وفي القعدة كان تجهيز القاضي حسين بن احمد العرشي إلى خولان وبني جبر، وما يتصل بهما، للعمل في سوق الناس إلى مطاردة الأعداء المغيرين.

وتلاه في اول ذي الحجة السيد الكبير احمد بن علي عامر، للتّعاضد معه في إيقاد نار الحرب في جنوب صنعاء

وفي القعدة بعث الإمام بتجريدة إلى (سارع)[1] لإعانة أبناء البلاد هناك في طرد القوة العثمانية التي اشتبكت معهم في حرب طالت ثلاثة أسابيع، وتجريدة ثانية الى اماكن في نواحي (كحلان[2] وعفَّار[3] وحجة) تحت رياسة السيد الكبير عبد الله بن يحيى ابومنصَّر.

وفي هذا الشّهر هجمت قوات عثمانية كبيرة في (آنس) وطاردت المقداد ورجاله، وتخلص منهم بعد عراك طويل

وفي شهر ذي الحجة جهز الأمام عصابة ذات شأن إلى (ساقين) من بلاد الشام[5] مدداً للسيد الزعيم احمد بن قاسم حميد الدين[6]، ومدفعاً وأسلحة، بعد أن اتّسع ميدان العمل في الشام بين قائد جيش الامام، والثائر الداعي السيد حسن بن يحيى القاسمي، ووصل الى الامام طائفة من كبار رجال خولان بن عامر من الشام

وفيه وصلت رهائن خولان وبني جبر إلى المقام الامامي شعار طاعتهم وانقيادهم

وفيه كان تعزيز القوَّات التي نفذت إلى خولان وما جاوره في جنوب صنعاء بقّوة تحت رئاسة السيد البطل محمد بن يوسف الكبسي.

---

(١) سارع: بالشمال الغربي من شبام كوكبان بمسافة ٨ ك. م. (المقحفي ص١٩٧).

(٢) هو كحلان تاج الدين مدينة جبلية بالشرق الشمالي من حجة بمسافة ١٧ ك.م (المقحفي ص٣٤٤).

(٣) جبل في بلاد كحلان بالشمال الشرقي من حجة بمسافة ٢٧ ك.م (السابق ص٢٩٠).

(٥) يعنى الجهة الشمالية صعدة وما يليها.

(٦) هو العلامة أحمد بن قاسم بن عبد الله حميد الدين ولد بقرية القابل سنة ١٢٧٧ وكان قد شارك في حرب الأتراك وتوفي سنة ١٣٥٣.

وفي ختام هذا الشهر قَدَّم عقال خارق[1] وسفيان[2]، رهائن الطاعة للإمام لينضمُّوا الى صفوف المجاهدين العاملين

وفي ختـامه أيضـاً كانت معـركـة (جحـانـة)[3] مـركـز خـولان، وجلب العثمـانيون إليهـا قُوات كبيـرة قَدِرُوا بهـا على الضّغط على المجاهـدين ولكن المجاهدين قاموا وثبتوا وضربوا العدو في هذا المركـز ضربـات عنيدة، وفكـوا الحصار المضروب على طائفة من المجاهدين.

وفي المحـرم مفتح سنـة ١٣٢٥ هـ كان تجهيـز السيد الكبيـر عبـاس بن علي بن إسحاق ومعه الشيخ أحمد بن أحمد مساعد للعمل في جنوب صنعاء.

وتلاه تجهيز السيد حمود بن محمد شرف الدين[4] تعزيـزاً للمجاهـدين في جنوب صنعاء

وفيـه كان الالتحـام العنيف بين قوّة عثمـانية وطـائفـة من المجـاهـدين وتـطاول العراك والـطِّراد من بني بهلول[5] الى بلاد الـروس[6] وفي قريـة الدار البيضا[7] ثبت المجاهدون لكرات العدو، وقاوموا مقاومةً تستحق كل إعجـاب وتقـديـر، وصبـروا على قصف المـدافـع، وهـول الهجـوم، حتى تهـدَّمت

(١) خارف: بطن من همدان موطنهم شرق قاع البون وشماله (المقحفي ص ١٣٩).

(٢) سفيـان: قبيلة من بكيل من ولـد شعبان بن أرحب بن الـدعام لهم نـاحية تعـرف بحرف سفيـان شمالي صنعاء بمسافة ١٤٦ ك.م وترتبط بقضاء حمر (المقحفي ص٢٠٨).

(٣) جحانة: مدينة في الشرق الجنوبي من صنعـاء بمسافـة ٤٠ ك.م وبها مـركز نـاحية خولان العاليـة (السابق ص٨٣).

(٤) مولده بكوكبان سنـة ١٢٦٧ وأخذ عن علماء عصـره وواجه الأتـراك في مدينتـه وكان يعتمـد عليه في فصل الخصومات وله مؤلفات في النحو وغيره توفى سنة ١٣٤٤.

(٥) بنو بهلول: ناحية من نواحي صنعاء ما بين سنحان وخولان العالية (المقحفي ص٥٩).

(٦) ناحية من نواحي صنعاء الجنوبية بمسافة ٢٧ ك.م مركز هاوعلان (السابق ص١٨٢).

(٧) قرية من ناحية بلاد الروس (السابق ص ١٥٣).

البيوت، واختلط الفريقان بين الجدران المبعثرة، والأزقة الضيِّقة، وخسر الفريقان في الارواح عدداً لايستهان به

وفيه كان تجهيز السيد النبيل علي بن علي السراجي بتجريدة تعمل في الجهات الغربية من صنعاء، واشتبكت هذه التجريدة مع قوة عثمانية شديدة البأس، تحت قيادة يوسف باشا، في محل (قراتيل)[1] من همدان، وتنبهت القيادة العثمانية للخطر المداهم، فأرسلت تجريدة إلى قرية (الجلب) من الجبهة، مخافة أن يحدث إنتقاض، ثم أتجه السراجي الى (الماعز)[2] من بلاد (شمات) فانقض بعده محمود رؤف من ولاة الأتراك، وتناوش الفريقان مناوشة خفيفة، ثم ان العثمانيين جلبوا مدداً عظيماً تحت رياسة يوسف باشا، وجنحت بعض أبناء البلاد إلى معاونتهم، فتحول المجاهدون إلى (الشاحذية)[3] حتى وافاهم المدد من الإمام، فتسنى لهم تطهير هذه الجهات، وعلت كلمة المجاهدين فيها (من بني الخياط[4] إلى بلاد شمات[5] والأهجر[6].

وفي هذا الشهر هجم الشيخ احمد مساعد علي طابوس جَهَّزته القيادة العثمانية إلى جنوب صنعاء، واعترضه المجاهدين في (سواد حزيز) من أرباض العاصمة فقتلوا أكثر رجاله، وانقلبوا بغنيمة لا تقدر، واهتزت صنعاء لهذا الحادث الخطير على أبواب العاصمة وبعد حادثة (سواد حزيز) حدثت مناوشات بين أبناء البلاد والقوات العثمانية، في حوالي صنعاء، وعلى مقربة

---

(١) قراتيل : قرية من همدان من عزلة الربع (المقحفي ص٣٢٦).

(٢) الماعز: من جبال الطويلة بالشمال الغربي من صنعاء قال المقحفي يعرف اليوم بحصن شمات (المقحفي ص٣٥٩).

(٣) عزلة من ناحية الرجم وأعمال الطويلة بالغرب الجنوبي من كوكبان (السابق ص٢٢١).

(٤) من الطويلة كوكبان.

(٥) من الطويلة كوكبان.

(٦) من الطويلة كوكبان.

منها، في وادي الأجبار[1] والضبعـات[2] وبيت نمير وبيت حاضر[3]، وهاجمت القوات الوطنية إلى أرباض العاصمة (وفي رجـام[4] والفرس[5] وبيت الحنمي) كانت مناوشات ومقاومات غير قليلة.

وفي هذا الشهر كـان ارسال تجـريدة إلى (حراز)[6] تحت قيادة السيـد النبيِّل محمد بن المتوكل، وإرسـال عصابـة تحت رياسـة السيد عبـد الله بن يحيى أبـو منصر، والشيـخ ناصـر بن منجوت الاحمـر من رؤساء حـاشد إلى نواحي كحلان وحجة وما صاقبهما.

وحدثت مناوشات في (وعلان) (وخدار) [7] وما يتصل بهما في جنوب صنعـــاء.

وأما القيادة العثمانية، فقد كان فـزعها عـظيماً، حينمـا ترامت الأخبـار بـالتجهيز إلى حـرازفسارعت بـانتداب يـوسف باشـا فهرع إلى عمـران، وقرر معارضة العصابة النافذة إلى حراز في طريق مرورها، ومازال يستقري آثـارها حتى أنقض عليهـا في جبل (هـداد) [8] بين آكام ومـرتفعات وعقبـات كأدا، فعـرقـل سيـرهـا وجـاءت قـوة من حجـة عليهـا (غـالب بيـك)، واستـــطاع المجـاهدون بصبـرهم وثباتهم على المقـاومة، حتى نفـذوا إلى العـريف [9]

---

(١) عزله من ناحية سنحان بالشرق الشمالي من صنعاء (المقحفي ص١٠).

(٢) من سنحان.

(٣) قرية أثرية في وادي الأجبار (المقحفي ص ١٠٣).

(٤) رجـام بكسر الراء واد من نـاحية بني حشيش بـالشمـال الشـرقي من صنعـاء بمسافـة ١٧ ك.م (السابق ص١٧٣).

(٥) قرية في الشمال الشرقي من صنعاء من ناحية بني حشيش (المقحفي).

(٦) بلد مشهور وهو أحد قضوات صنعاء بالقرب منها مسافة ٨١ ك.م.

(٧) خدار: بلدة تقع على ربوة أمام الصاعد من نقيل يسلح (المقحفي ص١٤١).

(٨) حصن في حجة.

(٩) عزلة من ناحية بني العوام حجة.

وبني عوام [1] بعد ان قاسوا مشقات كبـرى.

ومـازال يوسف يقتص آثـارهم، حتى التحم معهم في معركـة في بني (هيثم) [2] وثانية في جبل (ايهم)، ثم تحول السيد النبيل محمد بن المتوكل الى أسافل بـلاد (الشاحـذية) ثم انحـدر منها الى أسـافل الحيمـة إلى وادي (دايان) [3] وكان اتبـاعـه قـد وهنـوا، ومنهم من تـأخّـر، ومنهم من خنس، فقَّـر الـرأي على ان يجتمع السيد محمد بن يوسف والمقـداد، بالسيـد النبيل محمـد بن المتوكل فاجتمعوا (في بني يوسف) من الحيمة، وأمـا يوسف فقـد رجع الى (الرُّجم) [4] وحدثت هناك معركة بينه وبين عصابة من المجاهدين، تحت إمرة السـراجي، ثم ان يوسف بـاشـا أسـرع عـائـدا إلى همـدان، فتم بـذلـك تـطهيـر بني الخياط، وما اتصل بها، وأراد المجاهدون مهاجمة الطويلة، فانحـدر يوسف راجعاً لملاقاتهم

وفي بيت مفـرح من الضلع دارت معركـة حمي وطيسها،فـانسحب منه المجاهدون

وفي هذا الشَّهر حدث التحام وعـراك بين المجاهـدين وقوات عثمـانية في الحيمة ابتدأت (من الفجـرة) وامتـدت (الى بيت شـردة) والى (ينـاع) [5] وإلى بيت (الهـرطا) وبعث الإمـام الى المجاهـدين بالمـدد، كما أن طـابوراً أسرع إلى بوعان مدداً للقوات العثمانية

وفي هذا الشهر تَمَّ للمجاهدين استرداد (حصن شيعان) من بـلاد حجة بعد حرب ضروس

---

(١) ناحية من قضاء حجة.

(٢) من الشاحذية الطويلة.

(٣) هي الآن عزلة من بني مطر (المقحفي ص١٥٤).

(٤) من ناحية الطويلة.

(٥) حصن منيع من عزلة الجدعان بالحيمة الداخلية (المقحفي ص٤٧٧).

وفي هـذا الشَّهـر خـرج فيضي الـوالي العثمـاني بصنعـاء إلى سيَّـان[1] والمخـرف[2] والمعـاين[3] يـريـد بـذلـك تخـويف المجـاهــدين، كي لا يهـاجمــوا (محمود نديم) الذي جمع أموالاً من اليمن الأسفل، واتجه بها إلى صنعـاء، وبعد رجوع الـوالي فيضي باشـا إلى صنعاء خـرج مسرعـاً إلى (عمران) في الجهـة الشماليـة لصنعاء بقـوة ذات شأن، وكـانت الاخبـار قـد تـرامت إليـه بحصار (حصن عفَّار)[4] وفيـه قوة عثمانية كبيرة، فأسرع إلى نجدتهم بنفســه.

وفي شهـر ربيع الأول هـرع إلى كحلان بقـوات كبيرة استـطاع بها أن يفـرق جمع المجـاهدين، وفـك الحصار المضـروب على حصن عفَّـار بعـد معركة كانت في (قرية المشعيب)[5]، وانسحب المجاهدون بعد أن أبلوا بلاءً حسناً، وانقلب فيضي راجعـا إلى صنعاء بعد فراغه من المهمة التي قصدها، وبعد انصراف فيضي عادَ المجاهدون في هذه الجهات فلمُّـوا شعثهم ونظموا صفـوفهم، واشتبكوا مـع قـوة عثمـانيـة، في ملحمـة ذات بـأس في (قـريـة قيـدان)[6] وخسر العثمـانيون فيهـا خسارة كبيـرة، ثم في قريـة (الصعيفيـة)[7] وغنم المجـاهـدون غنـائم وطـاردوا قـوات عثمـانيـة الى (سـودان)[8] ثم الى (شرس)[9] ثم الى عقبة سلامة.

وفي هذا الشهر حدثت معركة بين المجاهدين وقوة عثمـانية في محـل

---

(١) سيان: قرية عامرة جنوب صنعاء من بلد ذي جـرة (بلاد الروس اليوم) (المقحفي ص٢١٨).

(٢) قرية كبيرة من اليمانية العلياء(تعـداد ج١ ص٥٣).

(٣) قرية من عزلة اليمانية العليا ناحية خولان الطيال (السابق ص٣٩٥).

(٤) قرية من عزلة بني موهب ناحية كحلان عفار من قضاء حجة (التعداد).

(٥) هي الآن عزلة من ناحية كحلان عفار حجة.

(٦) من عزلة بني موهب ناحية كحلان عفار.

(٧) قرية في شرس بالشرق من حجة (المقحفي ص ٢١٦).

(٨) عزلة وناحية من حجة.

(٩) ما بين حجة وشرس.

(المحطة) من بني السياغ في أعلى الحيمة، وكانت الحرب في هذا الموقع شديدة فاضطر المجاهدون إلى الإنسحاب الى (بلاد الثلث) من ناحية بني مطر وتلا هذا عراك عنيف بين عصابة من المجاهدين واخرى عثمانية في (بيت الرميم) من الحيمة ووافى المجاهدين المدد المرسل من الإمام إلى هذه المواقع، واقتضى التدبير تكثير العصابات والزعماء في بني مطر وحواليها، للمراقبة على الطريق الغربية بين صنعاء وحراز والحديدة

وفي هذا الشهر وصلت بعثة من الاستانة الى صنعاء لدراسة الأحوال ووضع قرار بما يجب إجراؤه في اليمن

وفي هذا الشهر التحمت عصابات من المجاهدين بقوات عثمانية، في جبل (قيفان) [1] واشتد العراك طوال ثلاثة أيَّام، وانتهت المعركة بخسارة كبيرة في العثمانيين

وفيه حمي وطيس النزال بين يوسف باشا وعصابة من المجاهدين في الأشمور، تحت إمرة السيد الكبير عبد الله بن يحيى أبو منصَّر وفي حصن (جِلَملَم)[2] كانت حرب شعواء ابلى فيها الوطنيون بلاء عظيماً حتى أصيب قائدهم السيد المذكور برصاصة أخترقت كتفه، وكتب الله له السَّلامة

وفيه تجمعت قوات عثمانية في الحيمة، وشددوا الهجوم على السيَّد النبيل محمد بن المتوكل وعصابة المجاهدين التي تعمل تحت إدارته، ودارت الحرب في (محل قُرامش) (والى نيهان) (وعزَّان) (وبيت الخطابي)، واضطر المجاهدون إلى الإنسحاب إلى حدود بلاد كوكبان، لكثرة جموع الأعداء، وبقي الأمام يواصل المدد إلى هذه المواقع وغيرها

وفيه نشبت معركة في بلاد (مسور) وهاجم العثمانيون محل (عُلُمان)،

---

(١) من جبال بني مطر (أئمة ق ٢ ص ٩٥)

(٢) قرية من عزلة الأشمور وأعمال عمران (المقحفي ص ١٢٧).

وضايقوا المجاهدين فيه، وبعد مقاومة عنيفة، تراجع المجاهدون الى مواقع اخرى

وفي أول ربيع الثاني جهَّز الإمام تجريدة الى حوالي ذمار

وفيه عاد الوفد العثماني إلى الأستانة بعد ان قرروا استصحاب طائفة من رجال اليمن الموالين للعثمانيين[1] ليشرحوا للمقامات العالية في الأستانة حالة اليمن، وما يجري فيه

وفي هذا الشهر دارت معركة عنيفة بين الفريقين في (مقولة) (من سنحان)[2] وانهزم يوسف باشا فأمده فيضي بقوة تحت قيادته بنفسه، ولكثرة الجموع العثمانية، تفرَّق المجاهدون بعد قتال بلغ أقصى درجات العنف

وفيه اشتبك الفريقان في وادي علي من بلاد مسور، وأنزل المجاهدون بأعدائهم خسارات فادحة

وفي هذا الشهر هاجمت قوات عثمانية من حجة ومسور، وكان هدفهم (الشراقي)[3]

وفيه دارت معركة شديدة وتفرق المجاهدون، وعلى إثر هذه المعركة هجمت قوات عثمانية على المجاهدين في بني عوام وبعد مناوشات انتقل المجاهدون إلى بلاد (العريف) حيث وافاهم المدد من الامام.

---

(١) ذكر خبر هذا الوفد بتوسع المؤرخ محمد زبارة في أئمة اليمن ق ٢ ص١٠٣ وذكر من ضمن أعضائه العلامة عبد الله بن علي بن عبد القادر والعلامة محمد بن يحيى المنصور والعلامة علي بن محمد الجرافي والحاج عبد الله بن محمد السنيدار وغيرهم وكان من ضمن أعضاء هذا الوفد العلامة محمد بن حسين غمضان الذي أفرد هذه البعثة برحلة مستقلة قمنا بتحقيقها ونشرها.

(٢) قرية في الجنوب الشرقي من صنعاء بمسافة ٢٠ ك.م من عزلة الربع الشرقي ناحية سنحان (المقحفي ص٤٠٤).

(٣) جبال ملاصقة لجبل مسور ارتفاعها عن سطح البحر زهاء الفين وخمسمئة متر (نفسه ص ٢٢٨).

وفي شهر جمادي الأولى حدثت في قريـة (ملاح) من رداع معـركة بين المجاهدين، وأهل البلدة لممالأتهم لـلأتراك، ووقـوفهم في وجه الـوطنيين، وسرعان ما هرعت قوة عثمانية من ذمار ويريم لمطاردة المجاهدين من رداع، فأسرع المجـاهدون بـالتحول الى بـلاد (قعطبـة)[1] (وبلاد[2] عمَّـار) ينتظرون المدد من الامام، وهناك عارضهم الشيخ الكبش أحد أنصار العثمانيين، وأحد الشيوخ العتاة، فأنزل به المجاهدون ضربة تليق بعتوّه وأذاه.

وفي هذا الشهر تمـردت رجال من الخبث التـابع للمحويت واستعانـوا بـالعثمانيين فـأوقع بهم المجـاهدون في (نمـره) (وجبـع) من الخبت وخسـر هنالك المبطلون وفي هذا الشهر احتلت العصابات المجاهـدة (الصَّفقين) من بلاد حفاش[3].

وفيـه نشبت معركـة بين عصـابـة من المجـاهـدين وقوة عثمـانيـة في (شرس) انتهت بعد مقتل وتخريب بتحّول المجاهـدين إلى بني العوام وبـلاد العريف حيث ترابط هناك عصابات قوية.

وفي هذا الشهر ثار أهل حفاش واستدعوا قوات عثمـانية، واستنجـدوا بـالبوني[4] من تهـامة، وأرادوا المكـر بالمجـاهـدين فـأسـرعـوا بـالتحـول من الصفقين الى (القـطعة والمحويت) حتى يوافيهم المـدد من الإمـام، ثـم أن العثمـانيين، ومن معهم من حفـاش والخبت وأصحـاب البـوني زحفـوا الى المحـويت وكانت الذخيرة الـلاَّزمة للحـرب قد نفـدت من ايدى المجـاهدين فتحّولوا وشيكاً الى بلاد (لاعة)[5] وما جاورها.

---

(١) مدينة بالشرق الجنوبي من مدينة إب بمسافة ٦٢ ك.م (المقحفي ص ٣٣٣).

(٢) مخلاف من بلاد النادرة في الشمال الشرقي من مدينة إب (نفسه ص ٢٩٥).

(٣) حفاش: جبل مشهور بالغرب من صنعاء بمسافة ١٤١ ك.م جوار جبل ملحـان وهو نـاحية تـابعة لقضاء المحويت (المقحفي ص١٢٤).

(٤) هو عبد الله باشا البوني كان من الموالين للأتراك وقد قاتل وملك ضياعاً كبيرة.

(٥) لاعة: بلدة معروفة من أعمال حجة (المقحفي ص ٣٥٥).

«زيارة الإمام لصعدة»
«واسباب ذلك»

في الشهور الماضية كان النزاع قائماً في بلاد الشام صعدة وما يتبعها من قبائل رازح وسحار وخولان وجماعة، وما يتصل بها وكان القائد لقوات الإمام في هذه الدِّيار المتسعة الجوانب السَّيد النبيل احمد بن قاسم حميد الدين، وكان الثائر على رأس هذه الديار السيد القاسمي[1] قد تكاثرت جموعه، وتطاولت أركانه، وفي خلال المعارك المتوالية، اتفق ضرب الحصار على السيد عبد الله بن قاسم أخي القائد العام في هذه الديار، وكان حصره في (زُبيد)[2] على غفلة، وتعذر فك الحصار المضروب عليه، فكان هذا من الاسباب الداعية الى التفكير في الأمر، وبعد مذاكرات ومحاورات بين قائد قوات الإمام وبين رجال القاسمي، تم رأيهم على أن يجتمع الإمام والسيد حسن القاسمي في رحبان من أرض الشام، وأن يحضر إجتماعهما رؤس العلما والأعيان، من سائر البلاد، وكان أخذ الرهائن والعهود والمواثيق خشية ان يحصل غدر او مكر، في أثناء الاجتماع من أشرار أو مفسدين، ولما وصل هذا الإقتراح الى الإمام، وهو محاط بالمشادة والمشاق، وأعمال المجاهدين منبثة في طول البلاد وعرضها، والتحول ستكون له آثار سيئة في فترة الجهاد وخمود العزائم، وعلى رغم كل ذلك فقد لبَّى هذا الإقتراح الذي نعلق عليه بكلام وجيز ونقول انه من المجازفات ومن التدبير السيّء ولا سيما وهذا الاجتماع في البلاد التي يتحارب عليها الفريقان، وقد نظر الإمام إلى أمر واحد، وهو انه اذا رفض قبول هذا الاقتراح، كان ذلك مدعاة لدعاية واسعة للقاسمي وأعوانه، وربما ينخدع

(١) هو الداعي حسن بن يحيى القاسمي السابق ذكره.
(٢) وادي زبيد من ناحية حيدان قضاء خولان بن عامر (تعداد ج ٧ ص ٥١).

بعض رجال الإمام، فأسرع إلى الوفاق[1] وأخذ معه جماعة من علماء ذمار وصنعاء وحوث [2] وغيرها واخترق المسافات النائية، ووصل الى الصفرا[3] من ارض الشام، ثم كان التحول الى رحبان[4] حيث عين مكان الإتفاق، واستقر في (حصن السنّارة)[5] حصن صعدة المتين، وبينما الناس ينتظرون القاسمي إذا بالانباء تترامى، انه قد أضرب، وانه غير واثق من نفسه للدّخول في مفاوضةٍ ينتهي بها أمر النزاع، وتعددت المراسلات، واختلفت الوفود والقاسمي مصرّ على ان لايقبل رأياً، وعلى ان لايفي بما عاهد عليه، وبعد إفتضاح أمر الثائر المذكور، وظهور فشله وعجزه، آيس الناس منه وأسرع الإمام آيباً الى مقره الذي يدير حركة الجهاد منه، وكان من آثار هذه الزيارة، وهن القبائل التي ركبت قرونها مع القاسمي، وتخوفهم من العواقب، وفاء كثير الى الانقياد والإنضواء الى صفوف الجماعة، وعلم أثر رؤساء الشام انّ الدائرة لا محالة واقعة بهم، فأصبحوا يتسلّلون تباعاً تاركين القاسمي وأحلامه يعيش في ظلالها ولذاتها الى ان تأتي ساعته الأخيرة، وقد كان من آثار هذا التحول، فتور حماسة المجاهدين وانطفاء جذوة عزماتهم خلال المدة الي ابتعد فيها الإمام الى الشام ١ هـ.

«عود إلى أعمال المجاهدين»

في هذا الشهر هجمت قوات عثمانية تحت إمرة يوسف باشا الى

---

(١) أي الاجتماع بالقاسمي المذكور وقد ذكر هذا الحبر المؤرخ زبارة في أئمة اليمن ق ٢ ص١٠٠.

(٢) بلدة معروفة من حاشد شهيرة بالعلماء.

(٣) الصفرا: مدينة بالجنوب الشرقي من صعدة بمسافة ٢٥ ك.م وبها مركز قضاء همدان (المقحفي ص٢٤٩).

(٤) واد عظيم في الجنوب من صعدة بمسافة ٣ ك.م كان قائماً به سد الخانق (نفسه ص١٧٤).

(٥) يقع على مقربة من صعدة به مركز ناحية سحار (نفسه ص ٢١٣).

الأهجر[1] وقابلتهم عصابات المجاهدين بالكفاح وتطارد الفريقان من شعب إلى آخر، ومن قرية إلى أخرى بين الضّرب والفتك وتطاول العراك (الى بيت قطينة)[2] ودارت فيه معركة حامية الوطيس واخرى في بني (الخياط) وفي محل (سافوف)[3] (وبيت القطيبي)[4] (وفي التعبرة)[5]، وفي طول هذه البلاد جرت معارك دامية، ومصاولات حامية، انتهت بتحول المجاهدين الى الجهات الجنوبية الغربية.

وفي خلال غياب الإمام في الشام كان الشريف عبد الله الضمين أحد زعماء المجاهدين الأشاوس، قد وضع نصب عينيه إثارة الحرب شعواء في القرى والنواحي الواقعة شمالي صنعاء، واشتبك الفريقان في معارك حامية الوطيس منها معركة (جربان[6] وضروان)[7] ثم معركة (بيت الحداد)[8] ثم حوادث (منكل وجبل الحمرا)[9] ثم عراك (الحقة[10] والاحربي)[11]، وكان الأتراك يقصفون بمدافعهم الشديدة في هذه المعارك، وتمكنوا من جلب قوات هائلة لقربها من (صنعاء) وكان الشريف الضمين يدير هذه المعارك بلباقة وحذق وحذر، فلم يقع مرة واحدة في يد العدو على كثرة المصاولة

---

(١) الأهجر: عزلة من ناحية شبام قضاء الطويلة.

(٢) من ناحية بني الخياط قضاء الطويلة (المقحفي ص٣٣٣).

(٣) من عزلة الجرادي بني حبش ناحية وقضاء الطويلة (التعداد ٩ ص٢).

(٤) قرية من عزلة الذولاني من ناحية الطويلة (المقحفي ص ٣٣٣).

(٥) من عزلة بها بني مصعب ناحية الرجم قضاء الطويلة (انظر كتابنا معجم البلدان ص ٣٢٧).

(٦) جربان: قرية من بلاد همدان بالشمال من صنعاء بمسافة ١٨ ك. م (المقحفي ٨٦).

(٧) ضروان: بلدة من ناحية همدان المذكورة ثم من مخلاف بني مكرم (نفسه ٢٥٩).

(٨) من عزله ربع وادعة ناحية همدان «عبد الله الثور: اليمن دراسة موجزة للمحافظات ص٥٨».

(٩) من ربع وادعة السابق ذكره (نفسه ص ٥٨).

(١٠) كسابقه من ربع وادعة همدان (نفسه ص ٥٨).

(١١) موضع من همدان شمالي صنعاء (المقحفي ص ١٢).

والطراد ثم انتقل إلى (حاز)[1] وبيت غُفر[2] في شهر رجب من هذا العام، فتبعه يوسف بقوته وواصلت القيادة العثمانية ارسال التجريدات الى أرحب وهمدان وغيرهما من البلاد المجاورة للعاصمة صنعاء خشية ان تمتد ايدي المجاهدين إليها، ويضيقون الخناق على من فيها.

ثم عقدت هدنة بين مشائخ همدان والسلطة العثمانية لثلاثة شهور، على ان تضمن قبيلة همدان تأمين المارّة في الطرق الواقعة بين صنعاء وعمران وشبام، ويعفى عن هذه القبيلة في كل مطلب حكومي وتحترم ديارهم.

وفي شهر شعبان قدَّم رؤساء خولان، ونهم وارحب، مواثيق ولائهم للإمام راغبين في مواصلة الكفاح واستمرار الصراع وعادوا من مقر الإمام بقلوب راضية شاكرة.

وفي هذا الشَّهر زار الإمام معقل شهارة ورافقه طائفة من العلماء والرؤساء وتفقد امور شهارة وأسوارها وتحصيناتها.

(حملة رداع وقعطبة واعمالها)

أشرنا قبل هذا الى أن عصابة توجهت الى رداع وانتهت الى بلاد عَّمار وقعطبة وأن الشيخ الكبش عارضها وآذاها، فانتقمت منه لبغيه، ونشير هنا الى ان هذه العصابة كانت تحت إمارة السيد الكبير محمد بن يوسف الكبسي، والشيخ الزعيم المقداد، ومن اعمال هذه العصابة، مناوشات عنيفة

---

(١) قرية أثرية من ناحية همدان على طرف قاع المنقب (نفسه ص ١٠٢).

(٢) قرية خربة غنية بالآثار وهي بالغرب من صنعاء على طرف قاع المنقب شرقي جبل كوكبان بمسافة ٥ ك.م.

حـدثت بينهم وبين قوة عثمـانية، بـالقرب (من النـادرة)[1] ثم اسـرعت هـذه العصابة بالانتقال الى (قاع الحقل)[2] من (بلاد يريم)[3] مارين (على خبان)[4] وعـرَّسوا[5] في قـريـة ربـاط القـاع وامتـدوا الى (عَـراس)[6] منـازل البـاطنيـة الاسماعيلية، وسرعان ما تجمعت القوات العثمـانية (من صنعـاء وذمار وإب) دفاعاً عن يريم وخوفاً من قطع الـطريق الجنـوبيـة الهامَّـة، ودارت الحرب بين الفـريقين في (ذي صـارف) من (عـراس) و (ذي شـميـران) ثـم تحـول المجـاهـدون الى (بني مسلم) من بـلاد يـريم وانتشـروا الى بني سيف[7]، وشـرذمة غـزت الى (السَّـدة) من بـلاد خبان واشتبكت مـع قـوة عثمـانيـة في معركة بجوار (السَّـدة) ثم انتقلت هذه العصابة الى بلاد ذمـار وتمردت طـائفة منها على القائدين المذكورين، ثم أجمع الرأي على ان يفترق القـائدان في العمل فاتجه السيد محمد بن يوسف الى قاع (جهران) ففاجأتـه قوة عثمـانية فـانقلب الى مخـلاف ابن حـاتم (من بـلاد انس) ثم اتجـه الى الحقـل بين وادي اعشار والمخلاف وانتهى الى الدار البيضاء، وخولان، وتفرقت عصابته.

واماالقـاضي الأديب حسين بن احمد العـرشي فانـه قـاد حملة من خـولان والحـدا واشتبك مـع العثمانيين في قـرية (صنعة)[8] ودارت معركـة حـاميـة عنيفـة، دامت اسبوعـاً، ثم تحول الى اطـراف جهران وانحـدر الى أطـراف مغرب عنسى، وقد تخلف من أصحابه طائفة من الحدا وتركوه وتجاوزها الى

(١) مدينة في الشرق الشمالي من إب في وادي نبا (المقحفي ص ٤٢٩).

(٢) هو المعروف بحقل قتاب في بلاد يريم الآتية.

(٣) مدينة بالجنوب من صنعاء بمسافة ١٠٥ ك.م تقع في سفح جبل يصبح المطل عليها من الناحية الشمالية الشرقية (نفسه ص٤٧٢).

(٤) واد مشهور سميت به ناحية خبان من أعمال يريم (الحجري ص ٣٠٤).

(٥) أي باتوا.

(٦) عراس: عزلة من بلاد يريم (نفسه ٥٩٧).

(٧) عزلة من ناحية القفر وأعمال يريم (المقحفي ص ٣٢٠).

(٨) صنعة من قرى بلاد آنس (الحجري ص ٥٤٧).

بلاد يريم، واستقر في قرية (بلَسان[1] والرباط) وفي هاتين القريتين قصدته القوة العثمانية، ودارت بين الفريقين حروب شديدة، تحول في إثرها المجاهدون الى (مغرب عنسى) الى محل (وثن)[2] ثم انحدروا الى (بلاد عتمة)[3] فعارضهم الرَّيمي أحد مشائخ عتمة وحدثت فتن ذات شان بين المجاهدين، والثائرين في وجوههم من أهل عتمة وبدرت بوادر التمرد تظهر من رجال خولان فأراد النهوض بهم الى (القفز)[4] وبعد مشقّة تجمعت هذه العصابة تحت قيادة العرشي وانحدروا الى القفر، وعارضهم كثير من أبناء البلاد، وتألبت عليهم المشائخ من كل صوب فاضطر قائد هذه الحملة الى الإياب، فأسرع راجعاً الى الإمام وفي شهر ذي القعدة الحرام بث الامام أفراداً من المجاهدين لأخافة الموالين للأعداء في قضاء كوكبان من المشائخ والرؤساء.

وفيه خرجت قوات عثمانية الى (أرحب)[5] الى بيت دغيش[6] والى (الحيفة)[7] فكان من الإمام ارسال بعض رجاله الأشاوس الى بني يريم[8] وخارف[9] لجمع عصابات وتشكيل جماعات للمقاومة فهرع الناس افواجاً تلبية للطلب.

---

(١) قرية من عزلة عبيدة ناحية وقضاء يريم انظر كتابنا معجم البلدان ص٢٧١.

(٢) قرية من عزلة مغرب عنس (المقحفي ص ٤٦٠).

(٣) عتمة: بالضم ناحية مشهورة من ذمار بالغرب الجنوبي منها بمسافة ٦٢ ك.م (المقحفي ص٢٧٧).

(٤) هو قفر حاشد. أرض واسعة تمتد من جبال يريم شرقاً حتى جبال وصاب العالي غرباً ومن مغرب عنس شمالاً حتى المخادر جنوباً (المقحفي ص ٣٣٤).

(٥) أرحب: قبيلة كبيرة من همدان وهي ناحية تابعة للواء صنعاء في الشمال الشرقي منها بمسافة ٥ ك.م (نفسه ص١٧).

(٦) عزلة من سدس بني حرموز بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ٦ ك.م.

(٧) قرية من خمس زندان بأرحب.

(٨) من حاشد.

(٩) خارف من همدان موطنهم شرق قاع البون وشماله.

وفي هذا الشهر حدثت معركة بين عصابة، وقوة عثمانية (في سواد بوسان)[1] انتهت بخسارة العثمانيين وفيه حدثت معركة في (بيت الحمودي) من اطراق ذبيان واشتد العراك فيها، وخسر المجاهدون فيها بعد ان ابلوا بلاء حسناً، ودخلت القوة العثمانية (ذيفان)[2] وهدأت الحالة.

وأطل هلال ذي الحجة ختام هذا العام، ولم يحدث فيه من الحوادث ما يستحق ان يسطَّر ويسجل. سنة ١٣٢٦ هـ.

طلع هلال هذا العام، والحالة العامة في اليمن تبعث على الأمل فحركات الدفاع قويت، وأعمال العصابات أستوت، والسّلطة العثمانية تلوح عليها مخايل الوهن، وتقذف بكل مالديها من قوة فتفشل، وتبؤ بالخسران.

وفي هذا الشهر محرم مفتح العام الجديد، تشاور الإمام مع كبار رجاله في تنظيم الصفوف، وبذل الجهود والمثابرة على العمل.

وفيه نشطت عصابة من أهل الحيمة للعمل ضد السلطة العثمانية في الطريق الغربية بين صنعاء وحراز، وسلبت وفتكت.

وفيه حدثت مناوشات بين المقداد في آنس، وقوة عثمانية والتحم الفريقان في معركة حامية الوطيس، في الموضع المعروف (بحمام علي)[3]. وفي هذا الشهر تجمعت قوات عثمانية الى (عَمران)[4] واتجهت الى الأشمور واحتلت اكثر أماكنه، واتحدت كلمة الأهالي على الدفاع اعانة للمجاهدين، (وفي قطع عزان) دارت معركة بذل فيها الفريقان اقصى

---

(١) بوسان: بلدة عامرةبأرض الخشب من أرحب.

(٢) قرية من ناحية ريدة من قضاء عمران.

(٣) من أعمال ضوران آنس.

(٤) بلدة معروفة بأعلى البون تبعد عن صنعاء شمالاً بمسافة ٤٨ ك.م.

جهـودهم واستمر وصـول المدد للعثمـانيين كما ان الإمـام واتر الأنجـاد بكل مستطاع.

وفي شهر صفر نشطت رجال الجهـاد في هذه البـلاد بعد ان تكـاثرت جموعهم، وشحذت عزائمهم وأمَّدهم الإمام برجال عرفت بسـالتهم، فانـزلوا بالقوات العثمانية خسائر فادحة، وكثـرت القتلى والجرحى وغنم المجـاهدون غنائم طائلة، وتقهقر العثمانيون عن مراكزهم مثخنين خاسـرين.

وبعـد هـذه الحـادثـة وافى مـدد عثمـاني كبيـر تحت قيـادة يـوسف فاضطرمت نار الحرب، واشتد العراك واسـترد العثمانيون ماكانوا قـد تركـوه من الأماكن، وانتهوا الى مدينة كحـلان[1]، وتحول المجـاهدون الى الجبـال المصـاقبة لكحـلان بعد معـارك استعرت نيـرانها واشتـدت اهوالهـا وانثـالت الغارات الى المجاهدين يتربصون الفرصة السانحة للأنقضـاض.

وفي هذا الشهر هجمت عصابة من المجاهدين، على مدير بـلاد آنس بعـد ان خرج من ضـوران يريـد صنعاء، فسلبت العصـابة كـل مـا كـان في رحاله، وأتت على رفاقه قتلاً وأسراً، وكانت الغنيمة وفيـرة.

وفي هذا الشهر هاجمت القوات العثمانية المـرابطة في كحـلان (جبل عيـال يزيـد) وحدثت بينهم وبين المجـاهدين معـارك شديـدة وتهدمت قـرى كثيـرة من جراء ذلـك، ثم تفرق المجـاهدون وتجمعت القـوة العثمانيـة (الى ريدة).

وفي هذا الشهر غزت عصابة المقداد جماعة من العثمانيين، كانت في (المحيام)[2] وكبسوهم على غَرة، واثخنوهم حتى امتلآت البقاع بـأوصالهم،

---

(١) كحلان: سبق ذكرها من أعمال حجة.

(٢) أقصى بلاد الحجة الخارجية وفيها بين أطراف بلاد ريمة وبرع ووادي سهـام على مسـافة ثـلاثة أيـام غربا وهو بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الياء المثناة وآخره ميم (أئمة اليمن ص١٢٢).

وسالت الأماكن بدمائهم وغنم المجاهدون غنائم طائلة من اسلحة وغيرها، وكان لهذه الغزاة أثر بارز في الدوائر العثمانية ومن يواليها.

وفي هذا الشهر هجمت القوة العثمانية التي تجمعت في ريدة على (السّود) وقابلهم المجاهدون، وجرت معركة بين الفريقين، انتهت برجوع العثمانيين الى عمران.

وبعد هذه الحوادث نشطت رجال العصابات للعمل السري، فأرهبوا كل من يشتط في ولاء العثمانيين، ويبالغ في نكاية المجاهدين، وباغتوا كل معاندالى عقر داره، وحدثت قضايا شخصية كثيرة في الحيمة وبني الحارث، وهمدان، وأرباض صنعاء وغيرها هذا اعظم ماحدث مما يستحق التسجيل البيان، ومرّت الأيام وفي الاحوال سكون من الجانبين غير مفهوم سببه، للهم الآ ان يكون الكلال والونى[1] قد اخذ مأخذه من الفريقين.

وما أطلّت أيام رجب من هذا العام إلّا والانباء تترامى من وراء البحار بحوادث الأستانة وما جرى فيها، وتلهج بذكر الإنقلاب الخطير الذي شغل أفكار العالم في شرق الأرض وغربها، فقد نجحت مساعي رجال جمعية الاتحاد والترقي بعد فصول تاريخية طويلة واضطر السلطان عبد الحميد الى اعلان الحكم الدستوري[2] مكرها، ونزل على ارادة الأمة مرغماً، وشاءت إرادة الله ان يحدث هذا التغيير العظيم والانقلاب التاريخي الهام، بدون ثورات ولا صدام، بل اسرع السلطان الى التنازل للأمة والرضا باعلان الدستور بعد ان برح الخفا وتبين استفحال حركات الدستوريين.

وهذا كما تعلم إنقلاب له معناه وله آثاره، فان الحكومة العثمانية،

---

(١) الفترة والضعف.

(٢) اشارة إلى قيام مدحت باشا مع جماعة الأحرار باعلان الدستور سنة ١٩٠٨ ثم ما صحبه من خلع السلطان عبد الحميد، انظر تاريخ الدولة العلية ص٧٠٦ تحقيق احسان حقي.

كانت مسخرة لإرادة الذات الشاهانية[1]، ولا راد لما قضت، فلما حدث الانقلاب التاريخي، اقتضى ذالك قلب نظام الحكومة في اساليب الحكم وأوضاع الحكومة الداخلية والخارجية والحربية والمالية، والثقافية، والاقتصادية، وانتهاج سياسة جديدة لذلك جعلنا هذا الحادث نهاية فصل تاريخي، ومبدأ صفحة تاريخية جديدة.

واذ قد انتهينا من تلخيص حوادث سنة ١٣٢٥ هـ وصدر سنة ١٩٢٦ هـ، فلنقدم للقارىء هنا قصيدة من الشعر الجميل الرّصف، من نظم السيد الأديب محمد بن احمد الشامي[2] قدمها الى الامام في مطلع عام ١٣٢٥ هـ، وهي ما اثرنا الترويح على القارىء بنقلها، وتركنا غيرها مخافة أن يسأم المطالع، ويخرجه الإستطراد من حوادث التاريخ الى الادب وإليك نصها:

مثلي عن التشبيب حقاً يعذر	لكن شككت بان يقال مقصِّر
ورأيت كل فصيح شعر نظمه	بصفات إيام الشباب يصدر
وعلي حق للشباب وانه	لأحق بالنظم البديع وأجدر
زمن به روض الأماني أخضر	نضرٌ ودوح الوصل فيه مشَّمر
مرت لياليه علي لآليا	تزهو على جيد الزمان وتزهر
فلكم نظمت الشعر فيه مشبباً	فكأنه درّ هناك وجوهر
حتى اذا مضت الثلاثون التي	طابت وسبع في السنين وأشهر
من قام منتصر لملة احمدٍ	إذ شاع جور في البلاد ومنكر
وتكاثفت ظلم الضلال فأظلمت	وأبيح خمر في الطغاة وميسر

(١) أي الملكية.

(٢) هو الأديب محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الشامي ولد بصنعاء سنة ١٢٧٨ وهاجر إلى صعدة لتلقي العلم ورافق في عدة غزوات ضد الأتراك وهو شاعر فحل توفي سنة ١٣٢٩ (نزهة النظر ص٥٠٧).

(الفصل الثاني)

انتهى القـول بنـا عنـد حـديث الانقـلاب العثمـاني والإشـارة إلى مـا يستلزمـه النظام الجـديد، ونحن الآن نشيـر إلى ما يتعلق بـاليمن وشؤونه من آثـار هـذا النِّـظام الحـديث، ليتم لنـا ربط تـاريـخ هـذه الحقبـة بـأسبـابهـا ومقتضيـاتها، فنقـول: أنه لمـا أستقر الـدَّستور وفتح السلطان عبد الحميـد له صدره أخذت الأمـور تجري في مجـرى جديـد، وتشق لها أسـاليب جديـدة، تحت آراء المفكـرين والـوزارات والمجـالس، وقـد كـان بحث اليمن من موضوعات الحكومة الجديدة، فأسـرع الصَّدر الأعـظم كامـل باشـا إلى إرسال سيّدين من أبناء اليمن ساقتهما الأحداث إلى الاستانـة، أرسلهما إلى الإمـام، وزوّدهما بكتاب وجيز اقترح فيـه أن يوفـد الإمام رجلين أو ثـلاثة إلى الاستـانة للبحث معهم في شؤون اليمن .

وقد كان من بعض زعماء العهد الجـديد الكتـابة إلى جـلالة الإمـام من الحديدة، إحـدى مدن اليمن السـاحلية[1] أفـاضوا في مـزايا العهـد الجديـد، ونـدّدوا بالحكم البـائد وأوسعـوه سبّاً وشتمـاً ورجـوا من الإمـام، فـك الاسـرا الذين في معتقلات الأسـر والمن عليهم فسارع الإمـام إلى إرسال أكثـر الأسرا تحت الرعاية والإكرام إلى الحـديدة، وسلمـوا إلى الإدارة هناك بـدون قيد ولا شرط، تطوّلاً وامتناناً .

وبعـد أن تشاور الإمـام مع رجـاله تم الـرأي على إيفاد ثـلاثة من أكـابر المخلصين إلى الأستـانـة، وتم الـرأي على انتخـاب السيـدين الكبيـرين محمـد بن أحمد الشـامي، وعبد الله بن إبـراهيم ، والقاضي النبيـل سعـد بن محمـد الشـرقي، فـودّعهم الإمـام بعـد أن زَودهم بكـل مـا يجب لهم في رحلتهم، وكـان ابتداء سفـرهم من مقام الإمـام في اليـوم السـادس والعشـرين

---

(١) وهي الآن ميناء اليمن الزاهر ومظهره الحضاري الأخـاذ

من شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢٦[1] واتجهوا إلى الحديدة وقوبلوا بكل حفاوة وإكرام، ثم أبحروا إلى الإسكندرية حيث شاهدوا مفاتن المدنيّة وبريقها الأخاذ، ثم واصلوا السير إلى الأستانة، وقد نزل هذا الوفد الامامي منزل التكريم والإجلال والرعاية في عاصمة آل عثمان، واحتفت بهم الحكومة وأولو المقامات العالية فيها، وأقيمت لهم المآدب الفخام في قصور الوزراء، وشاهدوا في هذه المدينة التاريخية ما يبهر الألباب، وبعد مراجعات طويلة ومحادثات شتى قررت الوزارات المسؤولة في الحكومة، حل مسألة اليمن، وإزالة الشقاق، بتقسيم البلاد اليمنية إلى قسمين أحدهما قسم الجبال التي يقطنها أتباع المذهب الزيدي، ويكون هذا لجلالة الإمام وتنسحب القوات العثمانية منه، وفي هذا القسم صنعاء العاصمة ، ومن مدنه المشهورة ذمار وعمران ويريم والطويلة وكوكبان وما عدا ذلك للدولة العثمانية، واشترطوا بقاء مندوب لهم في صنعا مع طابور واحد من الجند العثماني، وعلى الإمام نفقات هذا الطابور، وللإمام الخيار في مقره إن أراد صنعاء فله ذلك وإن أراد غيرها فلا اعتراض عليه، وكان وضع هذا القرار زمن صدارة حسين حلمي باشا، بعد أن شاهد الوفد استقالة الصدر الأول كامل باشا ، وأخذ على وفد الإمام العمل بهذا القرار وأخبرهم إنه قرار الحكومة بعد طول الأخذ والرّد فيه.

وبعد إملاء هذا القرار على الوفد تطورت الأحوال في الأستانة، واشتدت الثورة ضد النظام الجديد، وقامت المدينة العثمانية تطالب برجوع

(١) ذكر هذا الوفد المؤرخ زبارة فقال : في آخر العام وصل إلى الإمام وهو بقفلة غدر عبد الله بن أحمد الملقب بالذعرور ومحمد بن عبد الله الشرفي الملقب مزيقر وهما ممن سجنهم أحمد فيضي ونفاهما مع غيرهما من أعيان اليمن في سنة ١٣١٠ إلى أزمير ورودس فوصلا ومن معهما في آخر هذا العام إلى الإمام من الباب العالي فيها ترغيب الإمام وحثه على إرسال بعض العلماء ممن يعتمد عليهم من خاصة رجاله للمراجعة للسلطان ووزراء الدولة العثمانية فيما فيه صلاح أمور اليمن.

حقـوق السلطان والشريعـة، وحدثت فتن طـويلة، انتهت بعـزل السلطان عبـد الحميـد وإخراجـه من عاصمـة آبائـه في اليوم الخـامس من شهر ربيـع الثاني سنـة ١٣٢٧ هـ وسيق إلى (سلانيـك)(١) ببعض أولاده وجلس على كـرسي آل عثمـان أخـوه السلطان محمـد رشـاد الخـامس(٢) وتـطورت الأحـوال والـوفـد اليمني يشـاهد بعينيه تطور الأيـام ، وتبدل التـاريخ، ثم سـارع الـوفـد اليمني بـالأيـاب في أواخـر شهـر رجب بعـد أن زاروا رجـال السلطان رشـــاد وحظوا بمقابلة جلالته بين مظاهرالعـطفـوالاحتـرام، وما طلع هـلال شهر رمضـان من هذا العام إلاَّ والـوفد اليمني في صنعـاء، وقد قـابله الوالي العثمـاني الجديـد حسن تحسين باشا وأنزل الوفد في بيته ساعة وصوله.

والأحوال هادئة في زمن ولاية هذا الوالي، فقـد كان على جـانب عظيم من العقـل والـذكـاء، وحب الأصـلاح، أستـطاع بـذلـك أن يخمـد النيـران المشتعلة ، واختلطت رجـال الإمام بـرجـال السلطة العثمـانيـة، واحتـرم كـل فـريق الآخر وكـانت أوامر الإمـام تنفذ وتقـرر في كل مكـان من اليمن، وكـان النَّـاس يقـدمـون كثيـراً من الـواجبـات المـاليـة إلى الإمـــام، فـلا يعتــرضهم الـوالي العثمـاني.

وكـانت الأمور القضـائية تسيـر على وفق منهـاج الشـرع بـدون معـارض حتى تبـدل هـذا الـوالي ، وجلس على كـرسي الـريـاســة خلفـه فتــطورت الأحـوال(٣).

---

(١) مدينة رومية قديمة واقعة في جنوب مقدونيا على بحـر الأرخبيل ويبتـدأ منها طـريق حديـدي يصل إلى الصرب ومنها إلى جميع أوروبا.

(٢) هوالسلطان محمد رشاد الخامس ولد سنة ١٨٤٤ وكـان توليـه بعد خلع عبـد الحميد ومن بعـده لم تـر الدولـة العثمانيـة صبراً وتكـالب عليها الأعـداء وكـانت سنـة ١٩١٨ قبيـل استسـلام تـركيـا للخلفاء بأشهر.

(٣) كان عزل حسين تحسين باشا في أوائل سنة ١٣٢٨ واستبدل به الـوالي محمد عـلي باشـا يقول عنـه المؤرخ زبارة: كان طائشاً تائهاً متجبراً فظاً غليظاً عامـل الناس بـالعنف والشدة وبـالغ في معـاقبة=

وفي الشهور الأولى من سنة ١٣٢٨ هـ دارت رحى الحرب بصورة عنيفة في بلاد الشام، وبعد معارك حامية الوطيس تمكن الجند الإمامي من الإستيلاء على هجرة (فلله)[1] مقر الداعي القاسمي، وسقطت الحصون الشامية والمحلات الهامة، ووقع في الأسر، ثلاثة من أعوان الثائر[2]، هم مصدر حركاته وسكناته، والعامل الوحيد في تدبيره وتدميره، وأرسلوا إلى الإمام فكان إنزالهم في شهارة تحت الرقابة مع ما لاقوه من عطف الإمام، وحسن معاملتهم، وكان هذا الحادث الذي قضى على ثورة القاسمي والقبائل الشامية في شهر رجب سنة ١٣٢٨هـ.

وفي هذا العام وصل إلى صنعاء زمرة نحو ثلاثين رجلاً من الأوروبيين، وترددوا في أزقة صنعاء وأماكنها بأساليب الحرية، وإطلاق العنان، فاشتد غضب أهل اليمن، والتهبت أدمغتهم، وكثر كلام الناس في هذا الحادث الذي لم تعهد البلاد له شبيهاً، ولولا يقظة السلطة العثمانية في صنعاء، لكانت لهذه الزمرة خاتمة تجر إلى مشاكل وأحداث.

وفي شعبان من هذا العام أرسل جلالة الإمام السيدين الكبيرين عبد الله بن إبراهيم والضمين (إلى جبل برط) لإصلاح قبائل الجبل واستنفارهم إلى الجهاد، وحل مشاكلهم التي يتطاحنون من أجلها على الدوام.

وفي ذي القعدة الحرام، من هذا العام تحول الإمام إلى (حرف سفيان) ثم تحول إلى (ذيبين)[3] وحصن ظفار ثم انتقل إلى (خمر) واستقر

= من نقل إليه أنه متصل بالإمام وحكامه.

(١) هجرة في جماعة من بلاد صعدة.

(٢) يذكرهم المؤرخ زبارة بالأسماء وهم: حسن بن حسين عدلان الفللي وزير القاسمي وظهيرة وحاكمه القاضي محمد الشاذلي والثالث يسمى شائم.

(٣) ذيبين: مدينة بالشمال الغربي من صنعاء بمسافة ٩٤ ك.م بها مركز ناحية ذي بين التابعة لقضاء عمران (المقحفي ص١٦٩).

بها وسنبين القصد من هذا التجول في ما يلي هذا عند الكلام على حوادث سنة ١٣٢٩ هـ وربطها بمقدماتها واسبابها، وبهذا انتهى الفصل الثاني.

(الفصل الثالث)

هدأت الأحوال وأطمأت النفوس نوعاً ما زمن ولاية تحسين باشا وحدثت في هذه الفترة أحداث هامة منها القضاء على ثورة القاسمي، والإستيلاء على أهم ما في يديه من بلدان وحصون.

ومنها ظهور مبادى دعاية محمد بن علي الإدريسي في شمال تهامة، في مقاطعة صبيا وأبي عريش، وسنعقد فصلاً للإمارة الإدريسية وأحداثها وتطورها ومبادىء نشؤوها وما انتهت إليه، فذلك من أعظم العبر، ومن ألوان التاريخ الذي لا يجوز إغفاله.

ومنها إنتشار حكام الإمام في طول البلاد وعرضها، الأمر الذي ما كان أحد يقدر وقوعه، فلما ارتحل تحسين باشا وخلفه كامل باشا متصرف تعز، ثم أعقبه الوالي العسكري محمد علي باشا [1]، وكان هذا الوالي الجديد جريئاً مغروراً قليل الآناة، فألهب البلاد ناراً، وأضرم الفتن، بسوء إدارته، وأخذ في التقاط من يتهمهم بموالاة الإمام، وأراد أن يطبق في البلاد الإدارة العرفية والأحكام العسكرية، فمن الناس من سجن في أفظع السجون، ومنهم من ضرب بالسياط، ومنهم من مزقوا ماله، ومنهم من أعدّوه للشنق والإعدام، فارتاعت القلوب، ووجلت وأشفقت النفوس وهلعت، واستطارت الألباب، وتحيرت ولم يجد الإمام سبيلاً لعلاج هذه الحالة غير إمتشاق الحسام، ومقابلة الظالم بالسوط حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين.

ولكثرة التقلب الذي أصاب الأستانة وعدم استقرار حكومة آل عثمان

---

(١) سبق ذكره.

لما كـان هنـاك من تجـاذب واختـلاف بين رجـال جمعيـة الاتحـاد والتـرقي، وخصومهم السياسيين[1]، كان إهمال أمـر اليمن، وتناسي مـا أبرمـوه مع وفـد الإمام بالأستانة.

وأخذت الإدارة العثمانيـة ترهق الـرعية بـالعسف والتنكيل والمصادرات، فكـان ذلـك أكبـر بـاعث على إعـادة صفحـة من صفحـات الحـروب، انتصـرت فيها الحقوق الوطنية، وانتقمت من الظالمين أسوأ الإنتقام.

وقـد كان من الإمـام إيفاد من ذكـرنا من رجـال جلالتـه إلى جبـل بـرط لإستنفـار قبـائله إلى الجهــاد، وقـابلهم الإمـــام إلى الحـرف، وتحـــول إلى ذيبين، حيث استنفر رجال حاشد، وسفيـان، وأرحب، وعيال سـريح، وجبـل عيال يزيـد، والتف حول الإمـام كرام السـادات وعيون الـرؤساء ونشط النـاس للجهاد، وانثالوا من كل صوب للجلاد، وكانت البلاد تشعـر بخطر يتـراكم، وجور يتعاظم، ويوقنون أن السلطة التركية مجدِّة في أمرهـا بخطوات متتـابعة، وان لوناً من ألوان السياسـة الجديـدة في الحكم قد بـدأ يطهـر ويشع، وذلـك تجنيد جيش نظامي من الأمة اليمنية يسمى (بـالملة)، وهي فكرة دقيقـة جدًّاً، والنَّاس في كل زمن ومكان لا يتفقون على غـاية واحـدة ولا يزالـون مختلفين، فكـان هذا كله سبباً لما نقصـه عليك، من عـظام الحـوادث، واضـرام نيـران الكـوارث، ونشير هنـا أن الأمير محمـد بن علي الإدريسي بعث بـرسـالـة إلى الإمام، يحضّه فيها على منازلـة الأتراك ومنـاوأتهم، وتشديـد الضغط عليهم، وكانت الظروف السياسية الحـرجة تقتضي مناجزة الأتراك بكـل وسيلة ممكنة، فـانتهـز الإمـام الفـرصـــة، وأوفـد من قبله القــاضي الأديب حسين بن أحمـد

(١) ما كاد يعلن أصحاب جمعيـة الاتحاد والتـرقي الدستـور باسم الـوطنية والحرية حتى هبّ الأعـداء من صليبيين ويهود ومـاسونيـين في الانقضاض على الـرجـل المريض وكثـرت الاغتيالات واطيـح بعبد الحميد وعين بدله محمدرشاد فلم يدم في الحكم طويلاً وهذا معروف في كتب التاريخ.

العرشي إلى (صبيا)[1] مقر الإمارة الإدريسية وأخذ الإدريسي يعدّ العدد، ويهيء الأسباب لضربة الأتراك في عسير[2]، وما يتصل بها من مواقع تهامة الشام، وكان أول تفكير تمّ الرأي عليه، وأجمع العزم على تنفيذه، هو القيام بحركة تطويق كبير على صنعاء، عاصمة البلاد، ومستودع الذخائر، ومقر الإدارات العليا للبلاد، ولكن هذا التطويق والحصر الهائل يفتقر إلى جهود كبرى، ورجال وعتاد وتدابير دقيقة إذ لا يؤمن أن تزحف قوة من غرب البلاد أو جنوبها، أو تتجمع القوات المبعثرة في أوساط البلاد، فتقوم بعمل حاسم لذلك كان إجالة الرأي والإمام معروف بالأصالة في الرأي والدقة في التطبيق والحزم في الأمور، فكانت الخطة العسكرية المحكمة أن ارتأى الإمام، تجريد جيش إلى (يريم) [3] في جنوب صنعاء على مسافة أربعة أيام، ليشغل بال من في ذمار ورداع [4] ويريم، ويحول دون نجدة تأتي من مدينتي (إب) (أو تعز) وملحقاتهما، وتجريد جيش إلى (حراز) في غرب صنعاء على مسافة يومين منها ليقطع ما قد يأتي من الحديدة وتهامة، ويعمل في بلاد حراز إذ أنها موبؤة، ففيها طائفة من القوة العثمانية، ومن أهلها طائفة من الباطنية ، متحمسة في نصرة الأتراك متفانية في سبيل تأييدهم، وأوشاب من غيرهم، والطريق الموصلة بين صنعاء والحديدة تشق جبال حراز صعوداً وهبوطاً، وأيّة نجدة تأتي فمناجزتها في هذه البلاد أيسر من المناجزة في غيرها من البلاد المطمئنة الأرجاء.

وتجريد جيش إلى (حجة) في الغرب الشمالي ليناهض القوات المبعثرة هناك ويحول دون ما قد يتسرب من منافذ تهامة إلى حجة وما وراءها.

---

(١) من مدن تهامة ولها أعمال كثيرة وفرضتها جيزان (الحجري ص٤٦٢).

(٢) عسير مدينة معروفة تضم عدة جهات.

(٣) يريم : بلدة معروفة من يحصب تضم عدة عزل وأقسام انظر الحجري ص ٧٧٩.

(٤) رداع : مدينة بالشرق من ذمار بمسافة ٥٣ ك.م (المقحفي ص١٧٥).

وكـان فتح ميـدان في عمران وشبـام وكوكبـان ، لمضايقـة القوات المـرابطة في هذه الأماكن، وهذه البقاع شمالي صنعاء على مسافة يوم واحد.

وكـان فتح ميـدان العاصمـة الـذي تحقق بـه تـطويقهـا وفصلهـا عن سـائـر البلاد وحصرها حصراً دقيقاً، ومهاجمـة العثمانيين إلى أربـاضها ممـا أضطرهم إلى إقفال الأبواب،وتحصين أسوارها، ووضع ألغام في أفنائها.

وسنلم بـالحديث إلمـاماً مقتضباً عن كل مـا جرى في الميـادين التي ذكـرناهـا، وسنؤثر الاجمـال لا التفصيل والاشـارة دون التطويـل، ليتم لنـا مـا نـرمي إليه من ربط الحـوادث وتعليلها، وبيـان آثارهـا في أسلوب متسق وبيان مجتمع غير مفترق .

فـأما ميـدان (يـريم) فـانـه كـان تحت قيـادة السيـد الكبيـر عبـد الله بن إبراهيم والشريف المحنـك عبد الله الضمين[1] فقـد اتجهت الجنود من شـرق العاصمة حتى جاست خلال ديار خولان والحـدا، وانتشرت إلى معبـر وحوالي ذمـار، ونفـذت إلى أطـراف بـلاد (يـريم) ففي خـودان[2] دارت معـركـة بين القـوات الإماميـة وبعض أعدائهـا، ثم في (عراس) وفيـه باطنيـة جرت معـركة حامية الوطيس، وتغلب عليها الجند الإمامي.

ثم كـانت معركـة (يريم) ، وكـانت القوة العثمـانيـة، قـد تحصنت بهـا وناجزها الجنود من كـل جانب، وتم احتـلالها بين الـدمـاء والـدمـوع، وبين ضـرام النيران وأهـوال الطعـان، والحروب شـرور، مذ كـانت في المجتمعات الإنسانية.

ومـا انسلخ شهر صفـر إلاّ وقد تخلت بـلاد يريم من القـوات العثمـانيـة واستولى المجاهدون على فوهات الطرق، وأطراف البلاد منها .

---

(١) هو عبد الله بن محمد الضمين أحد قواد الجهاد في مناضلة الأمراء.

(٢) خودان: جبل من بلاد يريم على مسافة أربعة أيام جنوباً من صنعاء.

وأما ميدان حراز[1]، فقد قاده أربعة عظام، من خيرة رجال الحروب، وتوزعوا أقسام البلاد الحرازية، وهي مترامية الأطراف، وبعد أن تجمعت القوات إلى الحجرة[2] وعانز[3] من الحيمة، أخذت تتسلق جبال حراز الشاهقة، من جوانب متعددة تبعاً لخطة متفق عليها، وتم للمجاهدين بعد بضعة أيام الإستيلاء على عزلة بني الخطاب[4] وبيت[5] المدعي وانشروا في حصبان[6]، وارتفعوا إلى جبل مسار[7] الجبل الحصين الوعر المتسع الجوانب وامعنوا في خططهم، وهاجموا وثبتوا حتى بلغوا إلى (الهجرة)[8] وعتارة[9] ورشقوا (مناخة)[10] مركز هذه البلاد برصاصهم، وحالوا بينها وبين أجزاء البلاد، وتدفقوا على (الشرقي)[11]، أماكن الباطنية وحصونهم المتينة، وجبالهم الشاهقة الخصبة، وتم لهم في هذا الميدان الإستيلاء على قسم (لهاب[12] وهوزان [13]، ولم يقفوا عند هذا بل أرسلوا طلائعهم إلى بني إسماعيل واحكموا خطة حراسة الطريق الموصلة بين صنعاء والحديدة، وشغلوا بال القوة التي ترابط في مناخة وشبام[14]، وانتشروا في آفاق حراز،

---

(١) حراز: أحد قضوات صنعاء بالغرب منها بمسافة ٨١ ك.م.

(٢) الحجرة: قاع فسيح من أعمال الحيمة الخارجية به مجموعة من القرى.

(٣) جبل واسعة ذات قرى وحصون من الحيمة الخارجية كما ذكر.

(٤) عزلة من قضاء حراز (الثور ١٣٧).

(٥) قرى عزلة بني الخطاب.

(٦) عزلة من بلاد حراز وهي تشمل عدة قرى (المقحفي ص١٢١).

(٧) عزلة معروفة من حراز. انظر (الثور ص ١٣٣).

(٨) من عزلة هوزان من حراز (الثور ص ١٣٦).

(٩) من عزلة مسار السابق ذكرها.

(١٠) بلدة معروفة قال عنها المقحفي تقع بالغرب من صنعاء بمسافة ١٢٠ ك.م تتوسط بينها وبين الحديدة.

(١١) عزلة من بني يوسف وأعمال الحيمة الداخلية والربع الشرقي من جبل حراز أيضاً (المقحفي ٢٣١).

(١٢) لهاب: حبل ومخلاف من قضاء حراز.

(١٣) حي من حمير ومخلاف عامر بالسكان من مخاليف حراز.

(١٤) هو شبام حراز جبل مطل على مناخة من الجنوب وهو موضع حصين.

وتـداعت البـلاد تحت أقـدامهم، ولم يبق فيهـا مقــاوم عنيـد من أهلهــا غيـر الباطنية .

وأما ميدان حجة، فإن أعمـاله أدار دفتهـا السيد يحيى شيبـان[1]، وامتد العمـل في كثير من ملحقـات حجة، ففي مسـور، ومهابط حـامياتـه العثمانيـة تعددت المعارك، واشتـدت المقاومـة، وسقط المضمار[2]، وبيت عمـر وبيت فائز[3] والمصنعة[4] والرميـح[5] والكلالي الأعلى والأسفـل ودارت معركـة في بيت عذاقة وفي الشراقي .

وفي الظفير[6] ووقع في الأسر كثير من رجال هـذا الميدان العثمـانيين، واشتدت الحـرب في الظهـرين[7] وصعصعة، وخنعت البـلاد، وانقادت، حتى هـرع كثير من مشـايخ حفـاش، ومن يتصل بهم يقـدمـون الـولاء والاخـلاص للإمام على ضوء هذه الحوادث .

وأما ميدان عمـران فقد هـاجم المجاهـدون مدينـة (عمران) وأتـوا على أرباضها وحصروا من فيها وكذا جرت معارك في شبام وكوكبان ومكر [8] .

وفي جميع هذه المواقع انهزم فيها العثمانيون وقـاسوا أليم الضـربات ، وتحملوا أنواع التنكيل الذي تجره الحرب بطبيعتها ومعناها .

---

(١) هـو يحيى بن ناصر بن أحمـد شيبان ولـد سنة ١٢٩٨ بحصن الـظفير وأخـذ عن العلماء واستعمل في قبض الـواجبات ثم جرت ، بينـه وبين الإمـام مشادة أدت إلى اعتقـاله ثم الإفراج عنه ولـه في جهاد الأتراك حوادث تحدثت عنها كتب التاريخ توفي سنة ١٣٤٤ (نزهة النظر ص ٦٤٨) .

(٢) المضمار: بلدة من عزلة هوازن ناحية مناخة .

(٣) ويقال لها بيت الغائش من عزلة الجبل (الثور ١٣٨) .

(٤) من العزلة السابقة (الثور ١٣٨) .

(٥) مواضع من تلك الجهات .

(٦) جبل شامخ في الجهة الشمالية من حجة .

(٧) من ضواحي حجة .

(٨) حصن يحاذي كوكبان ويطل على الطويلة (المقحفي ص ٥٥) .

وأما ميدان صنعاء، فهو الهدف الذي لأجله انتشرت القوات في كل جانب هام من البلاد، وقد اسندت القيادة في هذا الميدان للسيد الزعيم النبيل أحمد بن قاسم حميد الدين، فأسرع إلى وضع الخطة الكفيلة بالمراد، من وضع صنعاء تحت ضغط الحصر، وخوف التطويق ، وكان هذا الميدان أحفل الميادين بالرجال والسلاح والمال ، وتناول من البلاد المتناثرة حول صنعاء، بني حشيش[1] وبني الحرث[2] وهمدان[3] وسخان[4] وبلاد البستان[5]، فكل هذه البلاد وهي نواح[6] واسعة، امتلأت بالرجال.

وفي الروضة[7]، على مسافة ساعة واحدة من العاصمة، جرت معركة بين الفريقين من أهول المعارك وأحماها وطيساً، وقضي على كثير من مبانيها.

وفي شعوب[8] وهو مزارع ملاصقة لسور صنعاء وقرى أرباضها، جرت حروب وأهوال وفي طيبة[9] برأس وادي ضهر كانت حوادث انتهت بتخريبها، وفي قلعتي عضر[10] في الجانب الغربي حدثت معارك ذات

---

(١) قبائل تلحق بخولان الطيال وهي الآن تابعة للواء صنعاء وهي ثمانية أقسام (المقحفي ص١٢٠).

(٢) تقع شمال صنعاء بمسافة ٥ ك.م وهي خمسة أقسام انظرها (نفسه ١٠١).

(٣) تقع في الشمال الغربي من صنعاء وتضم عدة مناطق (الثور ٥٧).

(٤) ممتدة من قاع صنعاء الجنوبي إلى ما يحادد خولان العالية (المقحفي ص ٢١٣).

(٥) هو الاسم القديم لمخلاف بني مطر غربي صنعاء (المقحفي ص٥٢).

(٦) أي فسيحة.

(٧) ويقال لها أيضاً روضة أحمد شمال صنعاء بمسافة ٥ ك.م إحدى منارات المدينة.

(٨) ضاحية صنعاء الشمالية (نفسه ٢٣٥).

(٩) حصن مشهور مطل على وادي ضهر بمسافة ١/٢ ٧ ك. م. يعرف قديماً بدورم.

(١٠) قرية في غربي صنعاء أسفل جبل يحمل اسمها مرتبطة بصنعاء (المقحفي ص٢٨٨).

صـول وبأس وفي الخسمـة[1] ومند[2] ومتنـة[3] والقاهـر[4] والسـرارة[5] والمحـازيب[6] والقليس[7] جـرت حـروب وخـطوب، وهــذه كلهـا بلدان معروفة تابعة لصنعاء أقصاها على مسافة يوم واحـد يبعد عنها، وامتـدت الجنود المحاصرة إلى(حدة)[8] و(وعلان) و(خـدار)وما يـلابس هذه المـواقع من قـرى صغيـرة، وآكـام حقيـرة مثـل ضبـر خيـرة والخميس[9] وبيت الزيادي[10]، وهـاجم المجاهـدون قلعـة جبـل (نقم) وهـو جبـل صنعـاء المـطل عليهـا من الجهة الشرقية.

وتحمس المجاهدون في منازلة العثمانيين في أرباض صنعـاء، واحتلوا الأماكن التي سردناهـا، وسيطروا على الـطرق من كل جهـة، وقطعـوا المدد من كل سبيل، وحـالوا بين صنعـاء وغيرهـا من البلاد، وأصبحت لا تملك من أمرها شيئاً.

وقد قابل الأتراك هذه الحركات العسكريـة الكبيرة، بـرباطـة جأش، في صنعاء فصبروا وسهروا على حراسـة الأبواب، ومـداخل العـاصمة وعـوراتها، وبذلوا كل جهودهم في الـدفاع عنهـا وأصابهم وأصـاب أهلها في سبيـل ذلك مـا هو ضـروري الوقوع في مثـل هـذه الـظروف، من خـوف وجـوع وارتفـاع

---

(١) من مخلاف بني شهاب الأسفل قضاء صنعاء (الثور ٦٢).

(٢) مند: من مخلاف بني شهاب الأسفل قضاء صنعاء.

(٣) قرية بالغرب من صنعاء في حقل سهمان ناحية البستان (المقحفي ص٣٦١).

(٤) حصن في مدام ناحية همدان صنعاء.

(٥) قرية في جبل حضور من ناحية بني مطر.

(٦) من قرى خولان الطيال من عزلة حضر.

(٧) من قرى جبل النبي شعيب ناحية بني مطر (المقحفي ص٢٣٦).

(٨) حـدّة: قريـة من حـازة بني شهـاب في نـاحيـة بني مـطر غـربي صنعـاء بمسافـة ٥ ك.م (المقحفي ص١١٢).

(٩) من بلاد الحيمة.

(١٠) من قرى بلاد الروس على مقربة من نفيل يسلح.

أسعار، ووباء وفقد الحاجات المعيشية، وكلما حاول الأتراك أن يعملوا ليشقوا الطرق، ويفكوا الحصر ردّوا على أعقابهم خاسرين، وسقط ما في أيديهم وتدفقت الأسرى إلى الإمام من الميادين كلها، وأخذ المجاهدون من المغانم، ما لا يدخل تحت حساب، وسيقت كثير من المدافع والأسلحة التي وقعت في أيدي المجاهدين إلى الإمام، وغصت معتقلات الأسر بالوافدين عليها كل هذا والإمام في (خمر) يدير دفة الحرب، ويصدر الأوامر إلى جميع الميادين، ويعقب على كل الأحداث، ويرسل الأمداد ، ويضع الوسائل التي تعين رجال الجهاد، وقد كان من سدادة الرأي عدم الاذن بمهاجمة صنعاء، وأخذها عنوة، لما يتوقعه الإمام من معرَّة الجيش عند أول خطوة ، وما يصيب المستضعفين من ويل وضر في مثل هذه الأحوال لذلك (رأى) أن المطاولة أسلم، وان العدو إذا لم تأته نجدة تستحق التقدير من وراء البحار، فهو لا شك مستسلم، وإن طال الأمد عليه.

وقد تبع هذه الحوادث استسلام حامية بوعان[1] وبيت السلامي[2]، ونشوب معركة مهيلة في (بيت ابن مهدي) في الحيمة، وكان هذا العمل الشاق العظيم في خلال شهري محرم وصفر وشطر من ربيع الأول من هذا العام عام ١٣٢٩هـ.

وعظمت المنة بما أتاح الله من إرغام الأعداء وتشتيت قواهم، وخذلانهم، ووقوعهم بين أسير يساق، وقتيل تمزقت منه الأوصال، ومنهزم لا يلوي على شيء، ؛ ولا يدري إلى أية غاية يرمي، ومحصور قد أحيط به فهو حيران يتخبط في حيرته، ولا يجد سبيلاً ينجيه من محنته، وذلك أثر البغي وعاقبة العدوان.

---

(١) بوعان: من قرى بني مطر تمر فيها السيارات من صنعاء إلى الحديدة .
(٢) من قرى الحيمة الخارجية (المقحفي ص ٢٠٩).

ولما علمت الدوائر العلياء في الأستانة بما وقعت فيه رجالهم باليمن، سارعت إلى بعث حملة عسكرية كبرى، وأسندت قيادتها إلى رجل من خيرة رجالها (أحمد عزة باشا) وزودوه بالذخيرة والمؤن، فأسرع على أمواج البحار إلى ميناء الحديدة، وما لبث أن اتجه توا في الطريق إلى حراز يسوق أمامه قوات عنيفة، وتجهيزات تامة النظام، فاضطر المجاهدون إلى الانكماش والتراجع، إلى الحجرة من الحيمة خشية أن يفاجئهم خطر، وهم أشتات متفرقون، وفي بلاد قد تعين الغريب الواغل على إخوانهم وأبناء شعبهم، وكان تنظيم خطة الحرب على طول الطريق من (مفحق)[١] في الحيمة إلى قرب جبال صنعاء الغربية ففي مفحق ثم في الخميس، دارت معارك حامية الوطيس بين المجاهدين، والحملة التركية، وتلقف لها المجاهدون في بيت السلامي وبيت حصبة[٢]، وأصدقوها ضرباً وطعناً، وكانت القوات العثمانية لكثرة عددها، واستكمال أهبتها تتغلب فتشق الطريق وتتقدم بين أهوال الحرب، ونيران القتال، وقد أمتدت الحاميات التركية على رؤوس الجبال من بني سليمان إلى أعلى بني السياغ[٣] إلى جبل شعيب، لحماية الطريق، ولمطاردة المجاهدين الكامنين، في هذه الزوايا.

وفي اليوم الرابع من ربيع الثاني، وصلت القوات العثمانية إلى شعبان البروية من بلاد البستان على مسافة خمس ساعات إلى صنعاء، وفي هذا المحل دارت معركة حامية الوطيس بين الفريقين، واشتد فيها العراك والنزال.

ولما علم المجاهدون أن لا قبل لهم برد هذا السيل المتدفق جنحوا إلى الخطة التي تم رأيهم عليها، وتجنبوا الاشتباك مع القوات العثمانية بعد

---

(١) بلد وحصن في ناحية الحيمة الخارجية (المقحفي ص ٤٠٠).

(٢) من عزلةالمخلاف‌قسم الربع (الثور ٨١).

(٣) عزلة من الحيمة الداخلية.

هذا في معارك صادقة، وناوشوهم على طول الطريق، حتى تم للقوات العثمانية فتح أبواب صنعاء، وفك تطويقها وتفرق المجاهدون وفآوْا إلى الإمام إلى (خِمَر) .

وأما ميدان حجة فقد إتجه إليه سعيد باشا أحد رجال الأتراك المجربين، واستعاد البلاد بحملة قادها من تهامة، ونفذ بها من أغوار البلاد إليها.

واضطر من في يريم إلى تخلية البلاد، خشية أن تضغط عليهم قوة تركية، وهم في بعد من مركز المدد والأعانة.

وتراجعت قواد الجيوش إلى الإمام، وفي خمر استجم كثيرٌ منهم، بعد أعمال مضنية، وحوادث ذات شأن.

أما قائد الحملة الجديدة عزة باشا، فقد كان من رجال الحنكة والمهارة السياسية، ومن الزعماء الأفذاذ، وممن يعرف ان المخاطرة والمجازفة بالقوات والرجال لا يستفاد من ورائها شيء غير الخسران والندم والفشل، وأراد أن ينتهج سياسة في السير جديدة، فلان جانبه، وتغافل عن كل ما مضى وذهب، ولم يعاتب أحداً على ميل قلبه ولا آخذ[1] احداً كان قد حمل السلاح عليه، وفرق الأموال واستدعى الرؤساء وأدناهم منه، وأدرّ عليهم أخلاف العطايا ، حتى هدأت النفوس الثائرة التي أرعبها وأخافها محمد علي باشا ، بطيشه وبطشه، ولما اطمأنت الشؤون، وساد السكون، أخذ هذا الرجل الماهر، يضع خطة تنتهي بها الحروب في اليمن، وتسلم الحكومة العثمانية المنهوكة القوى، المهددة بالأخطار، في أصل دارها، فيكون قد أسدى يداً لحكومته تشكره عليها.

فأخذ في مراسلة الإمام، وفي إبداء الرغبة الصادقة في لم الشعث،

---

(١) آخذ وواخذ بمعنى عاقب.

وتضميد الجراح، وجمع الكلمة، وإطفاء نيران الفتنة، والإمام كما قررناه غير مرة لا يبغي غير مقاومة الظلم، ومحاربةالعدوان، لتكون كلمة الله هي العليا، ولتكون الشريعةالغراء هي المرجع للناس في أموالهم وأعراضهم ودمائهم، لذلك كان يخف إلى كل رأي يدعو إلى سلم، وتقوى وعدل وحق، ففي آخر جمادي الثانية قدم إلى (خمر) مقر الإمام، رجلان من أكابر العاصمة وعلمائها المولى حسين بن علي العمري والسيد الكبير قاسم بن حسين العربي أبو طالب، وخاضا في شؤون الصلح ودرسا مع الإمام، وجهة نظر الفريقين، ثم عادا إلى صنعاء لتمام دراسة الموضوع مع عزة باشا.

وتبع ذلك خروج عزيز[1] بيك أحد رجال عزة باشا إلى خمر، وكان الإمام، قد فك أسر كثير من أسرى الحرب التي يعود وزرها إلى جهالة الوالي التركي محمد علي باشا.

وفي خلال هذه المفاوضات، تقاربت وجهة النظر، وفك الإمام بقية الأسرى وأعيدوا إلى عزة باشا، وها نحن نسرد لك حديث الصلح مبينين جميع ما احتوى عليه، ونعلق عليه بكلمة قصيرة على عاداتنا في هذا الكتاب.

---

(١) هو القائد المعروف عزيز بك علي المصري الذي تذكر له أياد بيضا في نصرة المسلمين.

(صلح دعان)

دعان قرية من قرى الجبل المشهور بجبل عيال يزيد واقع في شمال صنعاء على مُسافة[1] منها، وقد سمينا هذا الصلح بصلح دعّان لانبرامه فيها، ولاتفاق زعيمي المتحاربين في ساحاتها، فقد اختلفت الرسل بين الإمام وبين (عزة باشا) وتعددت المخابرات وتمت دراسةالموضوع من كل وجوهه، وما أطل شوَّال من هذا العام، إلاَّ والأمور تبشر بخير عظيم، وفوز كبير، والسلطتان تتفاهمان تفاهماً يحفه الود والإحترام، وحسن الظن، والرغبة الملحة إلى حقن الدماء، وإصلاح شأن فئتين من المسلمين عظيمتين، ورغب الوالي العثماني عزة باشا، أن يجتمع بجلالة الإمام ويتحدث معه مشافهة، فكان من الإمام الموافقة على ذلك الرأي ، وعين موضع الإجتماع، مدينة خمر المحل الذي أقام فيه الإمام من آخر سنة ١٣٢٨ هـ إلى هذا التاريخ، ثم بدت أمور اقتضت تغيير هذه الفكرة ذلك أن خمرا بلدة من بلدان قبيلة حاشد، وهذه القبيلة كثيراً ما تركب قرونها، وتحدث الأحداث، وقد خف بعض رؤسائها إلى الإمام يعلن في غير استحياء ولا وجل أنهم معارضون في عقد الإجتماع في بلد من بلدانهم لأن بعض رؤسائهم ينالون عطاءً من السلطة العثمانية، فارتاى الإمام تحويل الرأي، وكان (دعان) البلد الذي شاءت الحظوظ والمقادير، أن يسجل فيه أكبر صلح عقد في اليمن، ويجتمع فيه عظيمان من المسلمين، فاختص بهذا الشرف، وأصبحت هذه القرية المغمورة، بلدة تاريخية، يذكر اسمها ما بقي التاريخ .

وبعد أن أعد الإمام ما يجب إعداده، وتحول إلى دعان ، أرسل أخص رجاله إلى عمران لمقابلة الوالي وتكريمه، ووصل الوالي إلى دعان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٢٩ ، وقد صحب الوالي

---

(١) بياض في الأصل ومعجم البلدان للمقحفي ص ١٥٦ تبعد عن عمران بمسافة ١٨ ك.م.

نخبـة من رجالــه نـذكـر منهم عصمت[1] بـاشـا الـذي هـو الآن رئيس جمهوريةتركيا الأنقرية[2] (فسبحان مقسم الحظوظ) ، ولبث الـوالي ثلاثـة أيام وفي صبح يـوم السبت أصبح آيـا بنفس مـطمئنة، وعمـل رابـح، وصفقـة نـاجحة، وقـد تحادث مـع الإمام محـادثات طـويلة أسفـرت عن وفـاق وحسن قصد من الفريقين ولقوا من الإمام كـل حفاوة وإكـرام، وعنايـة وإقبال وشيعهم عند عودهم مسافة غيـر قصيرة، وتعـارفت الوجـوه وزال الخلاف، واستبشـرت النفوس، وهزها المرح والإزدهاء، واعلنت الجموع اغتباطها ورضاها.

وهذا نص الصلح الذي أجمع عليه الفـريقان وانتهى بـه تاريـخ الحرب اليمنية العثمانية، وقرت السيوف في أغمادها بعد نضال طويل:

(نص الصلح)[3]

بسم الله الرحمن الرحيم

المادة الأولى :

يصير الإئتلاف بين حضـرة سمو الإمـام المتوكل على الله رب العـالمين وبين حضـرة صاحب العـطوفة رئيس عمـوم أركان الحـرب، وقـومنـدان القـوة اليمـانيةعـزة باشـا المأذون من طـرف الحكـومـة السنيـة على الـوجـه الآتي، ويكون تصديقه من المرجع العالي وذلـك في ما تصلح بـه أحوال جبـال اليمن الآتي بيـانها، التي تجـري فيها الآن إدارة الحكـومة السنيـة العثمـانيـة، فعـلاً وهي: لواءصنعاء وما يحويه من اقضية صنعـاء وعمران وكـوكبان وحجـة وحراز

---

(١) هو عصمت.

(٢) نسبة إلى أنقرة عاصمة تركيا حالياً.

(٣) أورد المؤرخ زبـارة نص هذا الاتفاق بإيجاز في أئمة اليمن ق ٢ ص ٢٠٤.

ما عدى صعفان وبني مقاتل ثم آنس وذمار ويريم ورداع ومن بلهاء تعز من الزيديين ان كانوا نصف الناحية فصاعداً.

المادة الثانية :

يكون إجراء الأحكام الشرعية بين المتحاكمين ممن يسكن البلدان المذكورة آنفاً في جميع المواد، وإقامة الحدود على كل مرتكب لأسبابها، كل ذلك على المذهب الزيدي ويكون تعيين الحكام وتبديلهم من طرف الإمام، وذلك بأن يكتب الإمام إلى الولاية كتاباً بتعيينهم وتطلب الولاية تصديق ذلك من الأستانة على أن لا تتأخر مباشرتهم الوظيفة من عند أن يكتب الإمام، وتنفذ الحكومة جميع الأحكام التي تصدر من حكام الشرع ابتداءً ومن حكم الاستئناف ان لم يقنع المحكوم عليه وطلب الإستئناف.

٣ ـ إذا تظلم أحد من محكمة الإستئناف واشتكى إلى الإمام فيسأل سمو الإمام الحكومة عن حقيقة ذلك وإذا ظهر صدقه على صحة تظلمه أعيدت المحاكمة.

٤ ـ محكمة الاستئناف تشكل في مركز الولاية من رئيس وأعضاء ينتخبهم الإمام وكما يصدق تعيين الحكام يصدق تعيينهم.

٥ ـ إذا حكمت محكمة الاستئناف المشكلة على الوجه المتقدم ذكره بالقصاص الشرعي الذي هو إعدام شخص قاتل، قد استحق الحكم عليه بالإعدام شرعاً فعلى الحاكم السعي أوَّلاً في طلب العفو عن القاتل من ورثة المقتول أو إرضائهم بقبول الدية من القاتل، فإن لم يساعدوه رفعت المحكمة الاستئنافية الأمر إلى الأستانة، وطلبت الأذن بإجراء القصاص بعد التصريح بأن الحاكم قد بذل مجهوده عند الورثة في طلب العفو أو قبول الدية فلم يعفوه بشرط أن لا تزيد مدة صدور الإرادة في ذلك على أربعة أشهر، من عند إرسال تقرير المحكمة المذكورة.

٦ ـ عند ظهور ما يستوجب تبديل أحد الحكام من سوء حالة فعلى الولاية أن تخبر الإمام بذلك مع تبيين الأسباب الموجبة لتبديله والدلائل الشرعية، وعلى الأمام أن يبدّل ذلك القاضي.

٧ ـ للحكومة أن تنصب قضاة يحكمون بمذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بين من كان حنفياً من غير أهل جبال اليمن.

٨ ـ إذا حصلت دعوى بين زيدي وآخر من أهل المذاهب الأخرى الإسلامية من غير أهل الجبال يكون الرّجوع في تلك الدعوى إلى محكمة مختلطة تتألف من زيديين وحنفيين وإذا اختلف القضاة في الحكم فالمعتبر حكم القاضي الذي من جهة المدعي عليه.

٩ ـ للقضاة المعينين في النواحي والأقضية أن يتخذوا لهم معاونين من يثقون بهم يستخدمونهم في أمورهم، والمحافظة على أنفسهم، وفي احضار الخصوم على شرط أن لا يزيد عددهم على ستة رجال في النواحي وثلاثة في الأقضية، وعلى الحكومة أن تؤدي لهم رواتبهم بصفة مباشرين أو شرطيين، أما إذا كان هؤلاء غير كافين فالحكومة تمدهم بمعاونين من رجال الضبط بحسب ما يقتضيه الحال.

١٠ ـ ولاية الأوقاف والوصايا إلى الإمام.

١١ ـ تعفو الحكومة السنية عن كل ما سبق من أهالي الجبال المذكورة من الجرائم والبقايا المقيدة إلى تاريخ هذا المقرر، والمقصود من الجرائم هي السياسية، والتي وقعت في أثناء الحروب وتفرعاتها.

١٢ ـ تعفو الحكومة السنية مثل عفوها عن أهل الجبال عن جميع سوابق وجرائم وبقايا خولان ونهم وأرحب مطلقاً، وتعفو عن مقطوعيتهم إلى مدة عشر سنين بشرط توقف أهل هذه الجهات عن كل ما يورث نقصاً في جانب مأموري الحكومة، وعن التعرض لما يخل بالأمن العام في الطرقات،

فأن حصل من أحد منهم أو من جماعة منهم، مخالفة لما ذكر أدب المخالف بخصوصه بما يستحقه شرعاً، وإذا صدرت المخالفة من أهل بلد أو جهة بالإتفاق، وثبت ذلك عليهم كان تأديبهم وسقطوا من مزية استحقاق العفو في ما بعد.

١٣ - لا يطالب أحد من أهالي الجبال المذكورة بشيء غير التكاليف الشرعية الأعشار بالخرص والأغنام وبقية الأنعام بالنصاب الشرعي.

١٤ - إذا وقعت شكاية إلى الحكومة أو إلى حاكم الجهة المعين بنصب الإمام من ظلم الجباة والخارصين أو تبين من هؤلاء، شيء من سوء الاستعمال، لزم أولاً تحقيق الأمر من جهة الحاكم، وأكبر موظف في الحكومة المحلية، وما ثبت بوجه شرعي كان الحكم به من الحاكم والإجراء من الحكومة.

١٥ - لا مانع لمن أراد أن يعطي إلى الإمام شيئاً بطيبة من نفسه وذلك بأن يسلمه إلى سمو الإمام رأساً أو إلى مأموري الأوقاف أو أمناء الأراضي المرتبطة بالإمامة أو بواسطة مشائخ الدولة المختارين من الأهالي أو بواسطة الحكام.

١٦ - للإمام أن يأخذ بواسطة من يأتمنهم حاصلات الأراضي المرتبطة بالإمامة وتأخذ الحكومة السنية أعشارها الشرعية.

١٧ - ناحية جبل الشرق التابعة لقضاء آنس المؤلفة من العزل التي هي جبل الشرق وبني قشيب وبني أسعد والمنار وبني خالد وبني سويد تعفى من جميع التكاليف مدة عشر سنين وبعد انقضاء هذه المدة فعليها أن تؤدي للحكومة الأعشار وسائر التكاليف الشرعية مثل غيرها من محلات الجبال.

١٨ - يطلق الإمام من عنده من رهائن حواز صنعاء، وهي بنو الحارث، وبنو حشيش، وهمدان، وبلاد البستان، وسنحان، وبلاد الروس،

وبنو بهلول، وكذلك رهائن حراز، ، وأهل عمران.

١٩ ـ تأمين أصحاب الإمام وأصحاب الحكومة، وسائر الناس في ذهابهم وإيابهم بتجارة أو غيرها، وإذا اتهم أحد من الذين يدورون لاكتساب المعيشة بالسعي بما يسلب راحة العموم، قبض وسلم إلى حاكم الشريعة لتحقيق حالة.

٢٠ ـ بعد إمضاء هذا الإئتلاف لا يتعدى طرف على الآخر في ما هو في إدارته الآن، حرر في يوم سابع وعشر من شوال سنة ١٣٢٩هـ وفي سابع تشرين الأول سنة ١٣٢٧ رومي.

هذه نصوص الصلح ومنها تفهم أن أول عقدة انحلت هي الإتفاق على أساليب الحكم، ونظام القضاء الشرعي، وأن الشرع يجب أن يكون المهيمن الأعلى على جميع الشؤون، وهذا ما كان الإمام يرمي إليه وقصارى ما يدعو إلى إقامته، وهذا الصلح قد وضع الخطة التي بها أنتهت المشاكل والحروب، وكفل للأمة الأمن والطمأنينة، والحق والعدل في جميع الشؤون، وبين ما هو للإمام من حقوق، وما يرجع إلى السلطة العثمانية، بنصوص بينة لا غموض فيها ولا لبس ، ونشير هنا إلى أن هذا الصلح قد كان في صالح الحكومة التركية أكثر منه في صالح الأمة اليمنية، وقد يستغرب هذا الرأي، ولكننا نقيم الدليل على ذلك بما ينفي الشك، ذلك أن الأمير محمد بن علي الإدريسي، كانت حركته قد استفحلت في صبيا وأبي عريش، وأغرى قبائل القسم الشمالي من تهامة، وما يجاورها من قبائل الجبال المشرفة على تهامة الشام، على السلطة العثمانية، وكانت قد حدثت معركة حامية الوطيس في جيزان تألب فيها جموع القبائل مسوقة بالدعوة الإدريسية، وفتكت بحامية جيزان، وغنمت مغانم كثيرة ، ثم بعث الأمير الإدريسي ابن عمه السيد

مصطفى إلى (عسير) لمنازلة القوة التركية في (أبها)[1] وأعانته القبائل، وضرب الحصار على أبها حتى أضطرت الحكومة العثمانية إلى الإستعانة بالشريف حسين بن علي، أمير مكة، فقاد حملة قوية من الحجاز في ربيع الثاني من عامنا، هذا الذي نسجل حوادثه، وخرج على رأسها ، حتى فك الحصار عن العثمانيين في أبها، وأخذ الأمير الأدريسي يوطد أقدامه، ويعمل في مناوأة الأتراك، ولايتي هذا حال الأتراك في عسير، وشمال تهامة، تراهم قد وقعوا بين فتنة حاطمة ، وهم أعلم الناس في تلك الأيام بحركة الإدريسي، ومن يمده ويبعثه على مناوأتهم، والوقوف في وجوههم، وهذا كله والسيد الإدريسي يواصل رسائله إلى الإمام يستحثه، ويسرد عليه أنباء ما يقوم به من فتك ، وإلى جانب هذا ما كان قد بدأ يستبين من خطة إيطاليا نحو الحكومة العثمانية، ففي هذا العام بدأت تدعي أن طرابلس الغرب، جميع أقسامه من البلاد التي تعينت لها لتحكمها، وأخذت تطالب حكومة الأستانة بالجلاء عنها، وتهيء أمرها لحكم طرابلس بالحديد والنار، وانتهت هذه الفكرة بما لا يجهله لبيب من مهاجمة إيطاليا لطرابلس ، البلد الأعزل القصي، وساقت إليه الجموع والقوات الحديثة ، وكان ما كان مما لا محل له في هذه الصحيفة مما حفظه الزمن وسجله التاريخ لإيطاليا، وللأتراك، وللأمة العربية في طرابلس.

فكانت الحكومة العثمانية مهددة بالمخاوف واقعة بين أعداء أقوياء، وكانتالأستانة تلتهب بنار الخلاف السياسي بين الأحزاب المتلاعنة ، لا جرم أن صلح دعّان كان رحمة لهم، وعوناً كبيراً لحكومتهم ويداً بيضاء أنالهم إياها الإمام في الوقت الذي كان له مندوحة عن كل هذا، ويشن عليهم الغارات، وهم وسط ظلمة حالكة في كل وجه لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً، وأضف إلى هذا ما كانت حكومة الأستانة تعلمه حق العلم،

(١) بلدة مشهورة في عسير فيها مركز بلاد عسير (الحجري ص ٥٤).

من اقتراب ساعة إعلان حرب عالمية، وتعلم أن الحرب العالمية التي أعلنت بعد هذا العام بزمن قصير، كانت تدور لإبتزاز الدولة التركية واستلاب أملاكها في آسيا وأفريقيا، وشرق أوروبا، وكانت العلاقات السياسية الدولية، قد تداعت ووهنت، وأصبحت الحرب على الأبواب، فهذا كله يؤيد ما قلناه من أن هذا الصلح كان في نفع العثمانيين وصالحهم، ويقرر ما رأيناه سابقاً من أن الإمام، كان لا يشتد إلاَّ إذا رأى منكراً من الولاة يفيض وتفهق البلاد به، فيضطر إلى مقاومة العدوان بسابق الواجب، والوثائق التي سردناها قبلاً تعزز هذا، وتشهد له شهادة عادلة، فهذا ما آثرنا تعليقه على صلح (دعَّان).

وهنا نشير إلى مظهر الإرتياح، والاغتباط الذي أبدته الأمة، ولهج به الغادي والرائح، وتفتقت بالإشادة به القرائح فقال الأدباء وأكثروا ، وانطلقت الألسنة تحمد الإمام وتؤيده ، ونظم الشعر من يحسنه ومن لا يحسنه، ابتهاجاً واستبشاراً، وترويحاً للقارىء، وبعثاً لنشاطه ننقل له صورة مقتطفة صغيرة لأن كتابنا هذا، وان كان تاريخياً إلا أنه بهذا الأسلوب يستدعي نشاط القارىء، ويطرد عنه الملل والفتور والأدب ابن التاريخ، فلا بدع إذا خصصناه ببعض القول وطرف العناية، فمن ذلك ما قاله السيد البليغ إسماعيل بن إسماعيل المروني أحد رجال الحروب وزعماء طوائف الجهاد:

بحميد سعيك عادت الأعياد ... سراً ليس تشوبها الأنكاد

حسرت عن سود الليال جلابياً ... فاحيل نوراً غيهب وسواد

وعمرت بالعدل البلاد فأصبحت ... همداء لا جور ولا أفساد

وتبرقعت حلل الشريعة واجتلت ... بعقود صلح ورهن مواد

وعطفت أرباب القطيعة والنوى ... فتواصلوا وتقارب الأبعاد

وتحاضر الأخوان بعد تحاصر ... وتفاكه الأباء والأولاد

من ببعد ما شطت بهم وتقاذفت ... فلوات بين شأنها الأبعاد

فرأيتها قرت عيونا وانثنت ... تثني إيادي من له الأمداد
لا غرو قد نظرتك عين عناية الـ ... منّان حتى لا يرد مراد
أوَما لأرباب البصائر آيةٌ ... في ما يقال توافق الأضداد
مهما دنت غلب الرقاب واذعنت ... لشريعة الرحمن زال عناد
وخبت شواظ الحرب سلماً بعدما ... مرت سنون ونارها تزداد
وجمعت شمل المسلمين فكلهم ... في نعمة وعلى يديك تقاد
وتبدل الخوف الشديد لجمعهم ... أمناً وصينت أعبد وبلاد
فلحظك المسعود كان مدارها ... ولشأنك الأصدار والايراد
واليك يعربي عز دين محمد ... وبكم تعزز (عزة ورشاد)[1]
لما طغت إيطاليا وبدا لها الا ... ء براق في الأتراك والإرعاد
فانهد عرش الكفر رعباً واعتلا الا ... سلام وهو الشامخ الصعاد
لا لا أخال فقد أقرا جانب ... والحق ما شهدت به الأنداد
ولذاك كف يراع مدحي حيرة ... فهو الخضم ومدحه امداد
فعليه صلى الله بعد نبيه ... والآل ما عمروا الرشاد وشادوا

انتهت .

ومما قاله القاضي الأديب الكبير عبد الكريم بن أحمد مطهر:

سرت نسمة الأقبال عاطرة النشر ... فأهلاً برياها المطيب للسر
وهبت فيا بشراي أهدي شميمها ... إلى صفحة الأكوان فاتحة البشر
واطلع دور اليمن بدر سعوده ... كما انبلج الأصباح عن فلق الفجر
وساجل شحرور المسرة ورقها ... بما كان أدناه المرقص للدهر
بشائر عنها الكون يهتز نشوة ... كما فعلت في الخلق صافية الخمر
وآيات توفيق ولحظ عناية ... من الله أدنت للورى فلك الذخر

(١) إشارة الى الوالي عزة ومحمد رشاد سلطان الأتراك .

كأن سناء الشمس مشكاة نورها ... ومظهرها ذاك التلألؤ في الزهر
كأن عليها من شذى الروض نفحة ... بها أفق العليا يفتر عن يسر
تجلت فما أدراك أي لبانة ... تسنى بها إدراك غبطة ذا العصر
ولاحت فقل للشهب أبان سعدها ... تغيبن حسب الأفق لألآها البدري
أما الأمن معناها أما رفعة الهدى ... أساس مبانيها المشيدة بالبر
أما فتحت للخير مرتج بابه ... أما قشعت غيم الضلالة والشر
أما جاطت والرشد غاية كنهها ... أما أنسكبت في أثرها سحب القطر
مواهب أرضعن الهدى ونشأن في ... مهاد التقى لله ناشئة الخير
تهدل عنها الأمن والعدل في الورى ... ومدت رواق الشرع في كنف القطر
وجادت من اللآلاء بالشنن الذي ... نشدناه أزماناً لدفع أذى الضر
لك الله يا عصري حظيت بغبطة ... هي الغرة الشماء في جبهة الدهر

إلى آخر هذه القصيدة فهي طويلة على هذا النسج والطرز، وهذا ما آثرنا نقله وأعرضنا عن فيض من الشعراء ومعين من القول ميلاً الى الإيجاز وحذراً من البعد عن الموضوع.

وبهذا أنتهى القسم الأول من الكتاب كما أشرنا إليه في ديباجته وسنتبع القول بالقسم الثاني مستمدين من الله الإعانة والسَّداد والتوفيق الى الصَّواب والسلامة من الزَّلل إنه أكرم مستعان.

(القسم الثاني من الكتاب)

انتهى القسم الأول من الكتاب، بمعاهدة دعَّان، والاتفاق على نصوصها ، وهذا مبدأ القول في القسم الثاني، الذي يشمل حوادث الأعوام التي تلت عام ١٩٢٩ إلى أن انتهت الحرب العالمية الأولى، وبانتهائها انسحبت القوات التركية من اليمن، ومن سائر بلاد العرب إلى الأبد، وتسلم الإمام جميع شؤون البلاد، وانتقل إلى صنعاء عاصمة البلاد اليمنية ليدير دفة الشؤون الداخلية والخارجية، ويواجه الأمور من كثب، ويصلح ما أفسدته الحروب والمنازعات المتطاولة في هذا القطر.

ونعود إلى القول في الموضوع الذي نتعجل البيان له، ونقول: إن هدنة دعان تمت على الصفة التي أوضحناها، ثم وضعت موضع التنفيذ والعمل فهدأت الأحوال، واطمأنت النفوس، واسند الإمام أعمال القضاء في العاصمة وغيرها إلى أعلام من الرِّجال فأخذوا يباشرون الأعمال، وجلسوا على كراسي القضاء، يفصلون الخصومات ويحكمون في كل ما شجر بين الناس من خلاف وساد الأمر بالمعروف، وحوربت المنكرات وتوارى أصحاب الدعارة والبطالة، وأحاط بهم الرعب إذ أن الشرع، واقف لهم بالمرصاد، يحاسبهم على جرائمهم وسيئاتهم ولم يبق للمسكرات وجه بارز ولا للقمار يد تتحرك، وأمن الناس على أموالهم؛ فأخذوا يتبادلون بها في آفاق البلاد، ونشط الفلاحون لزراعة أرضهم. وانتفى الخوف وتوارى الذعر، وتلاقت الوجوه واتحدت القلوب، وتعاونت الجماعات.

وبينما الناس في غبطة ووداعة وارتياح إذا بالأنباء تترامى بطلائع فتنة ما كانت في الحسبان، ونزاع ما كان أحد يقدر وقوعه، فالسيد محمد بن علي الأدريسي الذي أشرنا إلى قيادته لجماهير صبيا وأبي عريش وما اتصل بهما وإرقاله[1] على القوات العثمانية في جيزان وعسير، قد تطورت به الأحوال ، وتقلبت به الأهواء، وطار على جناحين، فإذا هو يبث السموم سموم الفرقة والاختلاف، ويؤلب قبائل جماعة ورازح وسحار، وما اتصل بها للثورة على الإمام، ويمدهم بالمدافع والأسلحة الحديثة والذخيرة، ويوزع النقود بدون حساب ، وإذا بالواعظ الديني والسيد الصوفي[2] يبدو رجلاً يلعب على حبل السياسة، ويفتح قلبه لأوروبا، التي كانت تخادع العرب، إذ ذاك، وتمنيهم بسيادة قومية ونهضة عربية، ولما كان هذا الحادث بمكان من الخطورة، وكان أصلاً لأحداث وحروب وفتن خبط الناس فيها ما شاؤا رأينا إشباع القول وفاء بحق التاريخ وعبرة للناظرين وإليك البيان:

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كان ابتداء امر الآدريس المذكور دعوى التصوف والإرشاد كأسلافه السابقين كما سيأتي بيانه فيما بعد.

(الإمارة الإدريسية ومبدأ نشوئها)

رأينا أن ننقل هنا ما قاله الأستاذ فؤاد حمزة[1] في كتابه (قلب جزيرة العرب) لئلا نتهم بتحيز أو تحامل، قال في صفحة ٣٥٦: يبدأ تاريخ إمارة الأدارسة من محمد بن علي بن أحمد بن إدريس وكان جده السيد أحمد بن إدريس من أهل العلم والصلاح هاجر من المغرب، وأقام في مكة المكرمة برهة، ثم ذهب إلى تهامة اليمن لزيارة بعض تلاميذه ومريديه واستقر به النوى عام ١٢٤٦ هـ. (١٨٣٠)م في صبيا في جوار الشريف حسين شريف أبو عريش وأقام هنالك يبشر بطريقته الإدريسية إلى أن توفي بعد ذلك بنحو سبع سنوات، قامت إمارة السيد محمد حفيد السيد أحمد على التراث الديني الذي خلفه له جده بين القبائل، وأعانته الظروف السياسية وماكانت عليه الدولة العثمانية من تضعضع وإهمال في أواخر أيام السلطان عبد الحميد فراح يدعو إلى نفسه دعوة إصلاح ديني آملاً في الوصول إلى أغراضه السياسية.

ولد السيد محمد عام ١٢٩٣ هـ(١٨٧٦م) في صبيا وجاء إلى مكة مجاوراً عام ١٣١٣هـ ثم رحل إلى القاهرة، ودخل الأزهر الشريف ثم ذهب إلى واحة الكفرة[2] مركز السنوسية، وانصرف عنها إلى دنقلة[3] حيث أخواله بالسودان، ثم عاد إلى صبيا، مسقط رأسه في أواخر سني السلطان عبد الحميد، فوجد مرتعاً خصيباً لعمله، وساعده على ذلك فساد الإدارة وانتشار الرشوة، وبعد البلاد عن مركز الحكومة، والاستبداد القاهر، فالتفت حوله

---

(١) ترجم له في الاعلام ج٥ ص ١٥٩ فقال هو فؤاد بن أمين بن علي حمزة كاتب وباحث شارك في السياسة ولد وتعلم في عبية بلبنان سنة ١٣١٧وتوفي سنة ١٣٧١هـ.

(٢) الكفرة:

(٣) من جمهورية السودان تقع جنوب جندل النيل الثالث مباشرة على بعد ١٤٠ إلى الجنوب منها (الموسوعة العربية ص ٨٠٥).

الناس من كل حدب وصوب، وأرادت الحكومة العثمانية عجم[1] عوده وارسلت إليه وفداً سار خلفه جيش كبير، يقوده القائد سعيد باشا فأفهم الإدريسي حالة البلاد للوفد، وأنه وجدها معطلة فاسدة الإدارة معدومة الأمن، فقام هو بإصلاح أحوالها عن طريق الإصلاح الديني، وذلك في مصلحة الدولة، فخدع الوفد بأقواله ، ونال الإدريسي من قائد الجيش إعلاناً للقبائل يفوضه فيه بقيامه ببعض المهام ، فكان ذلك سبباً في ازدياد سطوته ونفوذه، وعينته الحكومة ، قائمقاماً لصبيا وأبي عريش وبعد برهة قصيرة ألب على الحكومة العثمانية، وأرسل من قبله قواداً لاحتلال البلاد، ووجه ابن عمه السيد مصطفى الإدريسي إلى عسير السراة لاحتلال (أبها) وكان ذلك في ذي القعدة عام ١٣٢٨هـ وشدد الإدريسي الحصار على (أبها) وفيها المتصرف سليمان شفيق كمالي باشا إلى أن فك الحصار عنها على يد القوة التي قادها الشريف حسين بن علي أمير مكة في السنة التالية، وتحصن السيد محمد بعد وصول القوات عليه في جبل فيفا[2]، ولكنه عاد إلى تهامة، بعد إعلان الحرب بين إيطاليا والحكومة العثمانية، واستولى على صبيا وجيزان وأبي عريش، واتفق مع الحكومة الايطالية التي أمدته ببعض الذخيرة، غير أن علاقات السيد محمد مع ايطاليا وقفت عند هذا الحد، واستبدل بها صداقة جديدة مع الحكومة البريطانية في السنة الأولى من اعلان الحرب العمومية، فانه عقد عام ١٩١٥م معاهدة صداقة، ثم جددت هذه المعاهدة عام ١٩١٧م، واعترفت له بريطانيا بالسيادة على تهامة حتى اللحية[3] في الجنوب والقنفذة[4] في الشمال وتعهدت له بحمايته من أي

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) بلد واسع من بلاد خولان بن عمرو بن الحاف في بلاد صعدة (الحجري ص٦٣٩).

(٣) بلدة من تهامة على ساحل البحر الأحمر على مسيرة يومين وهي فرضة وادي مور وبها أعمال كثيرة انظر (الحجري ص٦٧٩).

(٤) ميناء صغير على البحر الأحمر (الموسوعة العربية ص ١٤٠٣).

تعد خارجي كما أنه تعهد بعدم تأسيس علاقات سياسية أو تجارية مع أية حكومة أجنبية [1] واشتد ساعد السيد محمد بعد الحرب العمومية واستولى على الحديدة، وتعاقد مع الملك عبد العزيز بن سعود للقيام معاً لتأمين مصالح الجانبين، وظلت صلاتهما حسنة إلى آخر أيام السيد محمد.

غير أن موقف السيد كان عصيباً نظراً لوقوعه بين عدوين كبيرين الإمام يحيى في اليمن، والشريف حسين في الحجاز ووقعت بلاده بعد وفاته في شعبان عام ١٣٤١هـ ١٩٢٣م ، فريسة في براثن الفتنة، انتهى كلام فؤاد حمزة[2] .

وقد نقلناه بنصه لأنه يقرر ما سوف نسرده عليك في ما يلي هذا ، من قيام الأمة اليمنية منكرة ساخطة لما أشيع أن السيد محمد يد أجنبية يريد أن يحدث في اليمن حدثاً لا يدرك مداه، وقد تبين لك أصل وقوع الدعوة الإدريسية في شمال تهامة وانها كانت طريقة صوفية تقوم على أساس الطرق المعروفة في كل زمن ومكان ، ثم تحولت إلى دعوة سياسية على يد السيد محمد، والمؤسف العظيم ، هو أن تعلم أن السيد محمد زار مركز السنوسية في طرابلس ثم عاد إلى اليمن وفي الوقت الذي غدرت ايطاليا بطرابلس، وانقضت عليه بكل قواها الغاشمة، بادر السيد محمد إلى موالاة ايطاليا واشعال الحرب على العثمانيين! ليشغل بالهم فلا يستطيعون دفاعاً عن طرابلس، إذ أن بلاد طرابلس كانت تحت رعاية الحكومة العثمانية، فكأنما أعان السيد محمد على أهله وبيته، أما الإمام فقد تلقى الأنباء التي رددتها الألسنة في عام ١٣٢٩ هـ ، وشاعت في الشعب اليمني القائلة[3] بتوطيد

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) انظر.

(٣) أي القولة.

علاقات السيد محمد بحكومة ايطاليا، بكل ثبات وروية وأناة، وكان القائد عزة باشا يلح على الإمام في وجوب التعاون لمناهضة السيد محمد قبل أن يستفحل الشر، وبالغت رجال الإدارة العثمانية في مفاوضة الإمام بشأن الإدريسي، وحضه على أن يشارك في محاربة هذا الداء.

ولما كان الإمام يعلم ان الدعاية السياسية، قد تختلق أكثر من هذا، وان السيد محمد لما وقف في وجه الأتراك احتمل ان يقال انهم[1] أرادوا أن يقوم الناس عليه، وان يسارعوا إلى خضد شوكته، كل هذا محتمل ولا سيما والخصومة السياسية تأتي بمثل هذا واكثر منه، لذلك سارع الإمام ببث العيون، وارسال رقباء سريين ليشاهدوا السيد وأعماله وما يذر وما يتصل به، ومن أية جهة تأتيه الأموال، فوافته الحقائق دالة أن مدداً بحرياً وفيراً عظيماً يتوارد على السيد محمد، فارتأى الإمام ان يكتب للسيد محمد باحثاً ومستفهماً، ومحذراً وناصحاً، فأجاب السيد ان ذلك المدد يأتي من اخوان له وراء البحار.

ثم ازدادت الدعاية ضد الإدريسي وكثر القول في شأنه، وأخذت الدوائر العثمانية، تتأهب للانحدار لمقاومته، وبدت الامارات تومي أن وراءها أشياء فأوفد الإمام، أربعة من عيون السادات الأعلام الذين لا ينخدعون، ولا يمكرون، وهم السيد الكبير أحمد بن يحيى عامر[2] والسيد النبيل محمد بن علي الذاري والسيد الكبير عبد العزيز بن المتوكل والسيد الكبير محمد بن محمد الشرعي ولما حل هذا الوفد بساحة السيد محمد الإدريسي قابلهم بكل حفاوة وإكرام وإيناس، وتبادلوا الحديث معه في موضوع ما يجب من إنبرام صلح بينه وبين الحكومة العثمانية، وسألوه عن صلاته بايطاليا، وتلقي المدد منها، فاعترف لهم بذلك، واعتذر ان الظروف

(١) استلحق المؤلف هذه الجملة فوق السطر.

(٢) سبق ذكره.

اقتضت ذلــك وأكـد لهم انــه لن يبـدر منــه سـوء إلى الإمــام وبـلاده، وان الشريعة هي المرجع في كـل اختلاف قـد يحدث بين أتبـاع الفريقين، وكـان إياب هذا الـوفد الى الإمـام بعد أن شـاهدوا رأي العين وفـرة المدد الايـطالي وكثرة تكديسه.

وقـد كان في ختـام عـام ١٣٢٩هـ ذهـاب شيـخ الإسـلام علي بن علي اليمـاني[١] والقـاضي الأديب حسين بن أحمـد العـرشي[٢] مؤلف المنـظومـة التـاريخية[٣] في أحـوال اليمن وشارحهـا بالشـرح المطبـوع على نفقة الأستـاذ الأب انستاس ماري الكرملي العلامـة اللغوي العـراقي[٤]، وكان مـرور هذين العـالمين من صبيا فقـابلهم السيد محمـد، بكل حفـاوة وأكرمهم، وبـالـغ في إينــاسهم إلى ان تجـاوزوا حــدود بـلاده إلى الحجــاز لأداء فـريضـــة الحـج المقـدس، وعند إيـابهما من البيت الحـرام، تـوفي القـاضي حسين العـرشي وأدركتـه رحمة الله في محـل يقال لـه الكدف على مـرحلة من الليف[٥] وكـان ذلك في آخر شهر ذي الحجة الحـرام سنة ١٣٢٩هـ رحمـه الله، وقد رأى شيـخ الإسلام أحوال السيد محمد علي وما انتهت إليه أحواله.

وقـد استمر المـدد الإيطالي للسيـد محمد، وتتـابع حتى طـارت الأخبار بعـظم ذلك إلى كـل زوايا الشعب اليمني، وحتى هرع إليـه كثير من طـلاب الدنيا من كل حدب، وأخذت ايطاليا تشدّ من عضد السيد.

وحـدث في هذه الفتـرة ضرب كثيـر من سواحـل اليمن بنيران المـدافع

---

(١) هـو العلامـة الكبير علي بن علي اليمـاني ولد بصنعـاء ١٢٧٢ وبرع في سـائر العلوم وتلقى العلم عليه جماعة من العلماء وشارك في عدة قضايا تاريخية توفي سنة ١٣٥٠.

(٢) هـو العلامـة والمؤرخ الحسين بن أحمـد بن صالـح العـرشي ولـد سنـة ١٢٧٦ بهجـرة الكسب من خولان وتولى بعض العبادات كما سبق ذكره وله مؤلفات تاريخية توفى سنة ١٣٢٩ كما سيأتي.

(٣) يعني به كتاب بلوغ المرام ممن تولى حكم اليمن من ملك وإمام.

(٤) هو من أفاضل العلماء توفي سنة ١٣٦٦.

(٥) كذا عبـر المصنف والليث بالتـاء المثلثة بندر من تهامـة.

الايطالية، من البوارج الماخرة على سطح البحر الأحمر، كما أنها تجلدت في حرب طرابلس، على رغم ما أنزل المجاهدون الكرام بها هناك من أليم العذاب، ووبيل النكال، وتعدت على كل موضع تابع للحكومة العثمانية، وأصبح العالم الإسلامي يغلي ويفور، من عدوان ايطاليا، وأما صديقها السيد محمد[1]، فانه جمع أمره، واندفع إلى الوساوس والأحلام، مغتراً بوعود ايطاليا وبكثرة امدادها، وأخذ يفرق الأسلحة والذخائر، في أطراف قبيلة (جماعة ورازح) من القبائل الشمالية التابعة للإمام، وأخذ يدبر المكايد، ويستدعي رؤساء القبائل، ويغمرهم بالأموال الطائلة، ويعدهم ويمنيهم، وما أطل هلال جمادي من عام ١٣٣٠هـ إلاّ والثورة قائمة مشبوبة في جماعة ورازح، والشعار الإدريسي مرفوع، وسحار القبيلة الكبيرة تموج وتضطرب، وطارت الأنباء بأن الأيدي تعمل لانقلاب قبائل حجور، وبني مروان المصاقبة لحرض.

وهنا وجد الإمام نفسه واقعاً في موقف إن لم يتقدم ويعمل فالبلاد مستهدفة بلا ريب لخطر مداهم، وشر مستطير ونكاية للدين لا ترفأها الأيام، وسقوط في مهواة لا يعلم إلا الله بماذا تنتهي، لأن أمر السيد محمد أصبح مكشوفاً وأصبح حاله معلوماً، وانه يعمل على حساب ايطاليا وبأموالها وسلاحها، اذن فالخطر على الأبواب، وإذا كنا نقاتل بالأمس عدواً لاستهتاره في الظلم والمنكرات، مع أنه مسلم، فكيف يسوغ القعود عن عدو تمده ايطاليا ويعمل على حسابها، وسينتهي الأمر بخروج البلاد من يد أهلها في الوقت الذي لا ينفع دفاع ولا احتجاج، واستئصال الشر قبل أن يستفحل من الحزم، واصطلام الأذى قبل ان يوغل من الحكمة، ولم يجد الإمام بدّاً من الإقدام، وخوض معركة حامية من جديد، فأخذ يستنفر القبائل الشرقية من برط إلى الجوف، حتى مأرب، ويجهز الجنود ارسالاً ارسالاً إلى سيف

---

(١) يعني الإدريسي.

الإسلام محمد بن الهـادي قائـد جيوش الإمـام في بلاد الشـام، والناظـر العام في أمورها وشؤونها، ولم يدع الإمـام، فرصـة تمر إلاّ وينتهزهـا ، فساق كثيـراً من الرؤساء والزعماء إلى بلاد الشام، وواصل المدد إليهم والذَّخـائر ، وواتـر بعث الجنـود إلى الشام، كـل هذا وقبـائل الشـام جماعـة ورازح وسحار تفـور وتغلي، ورجال الإدريسي يعملون ويوطدون أقدامهم في أطـراف هذه البـلاد، ويـزودون القبائـل بالأسلحـة، ويوفـرون لهم الأعطيـة، ويسوقـونهم إلى موارد الهلكـة والتلف ، والسيد محمـد يواصـل تفريق الأمـوال، ويستجلب النفـوس بالرغائب والمدد الايطالي يزداد وفـوراً، ويظهـر أن السيد محمـد أخبر ايـطاليا بحشد الإمام، وسوق الجنود والتأهب لمعركـة تنتهي بإزهـاق الباطـل، وتفريق أوصاله، لذلك بادرت ايطاليا إلى مراسلة الإمام، وأخذت تخـطب رضاه بكل أسلوب وتـرجوه أن لا يقـاوم السيد محمـد ولا يعترض سبيله، وأكـدت مطلبهـا هـذا بواسـطة سفارتهـا بمصر، وسفـارتها في عـدن! ، وأخذت تتـوسـل بكـل الـوسائـل، مخافـة ان يقـع السيـد محمـد في مضيق لا يخـرج منـه، ولكن جـلالـة الإمـام أزداد يقيناً بهذه الشفاعة، وعلم حقّ العلم أن جزيرة العرب سائرة إلى نهايـة مشؤومة وان أوروبا لن تـدع الفرصـة سانحـة إلاّ وتنتهزهـا فكان هـذا من أكبر العـوامل في بـروز الإمام، وتفـريغ كـل قواه وبذل كـل جهـوده لمكـافحـة الإدريسي.

ولما رأت القيادة العثمانية بصنعـاء ان الإمام قـد اقتنع بـوجوب محـاربة الإدريسي وتـوفرت لـدى الإمام الأدلـة على وجـوب صيـانـة البـلاد من شـرور الكـافـرين، وانـه آخـذ في إعـداد العـدة، وتـوفيـر الأهبـة للجـلاد والجهـاد، سارعت إلى عرض معونتها وبعثت بكميات غير قليلة من الذخيرة الحربية والسـلاح، ولما أزدادت حـركة السيـد محمد واضـطربت نواحي صعـدة أيمـا اضـطراب، أسرع الإمـام ، إلى استنفار قبـائل صنعـاء المجـاورة لهـا، ونشـر الدعوة في طول البلاد وعـرضها واستـدعي المخلصين من كل أرجـاء البلاد ، وأرادت القيادة العثمانية بصنعاء أن لا تبقى متغافلة أمام هـذا الخطر، فعـرضت

على الإمام أنهم مستعدون لتجهيز ثلاثة طوابير بكامل معداته وأدواته، تكون تحت رأي الإمام، وأمره في حربها وسلمها، فتقبل الإمام هذه المعونة قبولاً حسناً واسرعت القيادةالعثمانية إلى تقديم هذه الطوابير وقد أعد الإمام طوائف من رجاله لمرافقة هذه الطوابير، وعددها محافظة عليها إذ أنها ستمر في سفرها إلى بلاد الشام، في بلدان قبائل شتى، وصحاري ووعور، ومن المحتمل أن يتعرض لها أحد بسوء، والمسافة تزيد على عشرة أيام، وأعد لها الإمام النفقات اللازمة لها ولما معها من حيوانات الركوب، وحمل الأثقال، وكانت لا تنزل منزلاً ولا تهبط وادياً إلاّ بين رعاية الإمام وإكرامه ، واستمرت في سيرها حتى وصلت إلى (ساقين)، وقد تجمعت جنود كثيرة ، ولكن البلاد قد استفحل شرها، واجمعت جماعة ورازح وكثير من سواهم، على نصرة السيد محمد، وتفانت في سبيل دعوته لما يغدق عليهم من وفير الأموال، وهمت هذه القبائل بحصر (ساقين) مركز قائد جنود الإمام.

ولما بلغت هذه القوة العثمانية الديار الشامية، وتجمعت جموع العرب تحت ألوية زعماء الإمام، أخذت القبائل تتحمس في غيها، وتتفانى في بغيها، وأول معركة دارت في عرو[1] بين فريق من جنود الإمام وخصومهم، وانجلت المعركة عن فرار الأعداء بعد مقتلة حامية، ثم تجمعت جموع كثيرة إلى شعب حي[2] والعينا، ودارت بين الفريقين ملحمة هائلة ، نشطت فيها مدافع الفريقين، واشتد فيها العراك وانكشفت بفرار الأعداء، وانهزام جموعهم، وانتهت الجنود الإمامية إلى سوق الاثنين في أطراف شعب حي، وغنم المجاهدون مغانم كثيرة وسلبوا من قرى خولان أشياء طائلة ولا سيما الأسلحة، وفرت جموع رازح لا تلوي على شيء، ثم فترت همة الجنود الإمامية، ونشب سوء تفاهم بين طوائف المجاهدين ، أدى ذلك إلى

---

(١) جبل بالغرب من صعدة بمسافة ٣٧ ك.م وفيه مساكن بني بحر بن خولان (المقحفي ص ٢٨٥).

(٢) نسبة إلى قبيلة من قضاعة ثم من خولان بن عمرو بن الحاف من صعدة (المقحفي ص١٣٤).

استجماع العدو لقوته، وأراد أن ينزل بهم ضربةً قاصمة، ويهاجم صعدة والسنارة، والصمع[(١)] فسارع رجال الإمام إلى تدبير الدفاع وتقوية وسائله، ثم نشبت معارك في الشط[(٢)] والطويلة[(٣)] من بلاد همدان، واستمرت الحرب أياماً، ثم كان انقضاض الجنود الإمامية ، على جمعة بني بحر ومن يتصل بها إلى أطراف جماعة، وأنزلوا بالباغين عقاباً أليماً ونكالاً عظيماً وجرت معارك دامية في أطراف خولان انتهت بفشل القبائل وأصحاب السيد الإدريسي .

ولما رأى السيد محمد الإدريسي أن الأمور في قبائل الشام انتشرت، وان المقاومة من جانب الإمام استفحلت، وخاف أن تخضد شوكته في هذه الجوانب، وان تفيء، هذه القبائل إلى طاعة الإمام وحكمه، سارع إلى فتح جبهة جديدة في حجور[(٤)] وخدع بني سعد[(٥)] وبني أحمد من بني هني[(٦)] من قبائل حجور وأمدهم بالمال والأسلحة والرجال، ودبر لهم مكيدة الثورة وأخذ عامل الإمام في حصن الموشح[(٧)]، وسرعان ما تجمعت قبائل بني مروان[(٨)] ومستبى[(٩)] والخميسين[(١٠)] وبني سعد وبني هني ، وهاجمت حصن الموشح ، في اليوم الثاني عشر من ذي القعدة الحرام عام ١٣٣٠ هـ.

---

(١) حصن من صعدة في جنوبها (المقحفي ص ٢٥١).

(٢) عزلة من ناحية صعدة قضاء سحار (تعداد التخطيط ج٧ ص٨٦).

(٣) عزلة من ناحية صعدة قضاء سحار (نفسه ص ٨٨).

(٤) بطن من همدان ينسب إلى حجور بن أسلم بن عليان بن عريب بن جشم بن حبران بن نوف بن همدان ويقال لهم حجور الشام.

(٥) من قبائل شافعي ناحية خولان صعدة وبنو سعد أيضاً عزلة من ناحية وشحة قضاء وشحة (تعداد ج٦ ص٢٤٧ .

(٧) هي المعروفة بوشحة بلدة من أعلاء بلد حجور .

(٦) عزلة من وشحة.

(٨) من ناحية ميدي لواء حجة.

(٩) ناحية من وشحة.

(١٠) عزلة من أقليم قضاء الشرفين.

وأحاطت به القبائل الموالية لـلإدريسي واستعصم فيه عـامل الإمـام وأتباعـه، وأخذ الإمام يـوجه الجنـود والذخـائر إلى حجـور لمقاومـة الخطر النـاجم من هذه الزاويـة ؛ واشتدت الحـرب حول هـذا الحصن الشامخ المتين وثبت فيه رجـال الإمام وصـابروا، حتى وافتهم النجـدة التي بعثها الإمـام لفـك الحصـر عنهم، ودارت معـارك شديـدة الإلتحام على طـول بلاد حجـور، وفي قلاعهـا الشامخة، حتى تمكن أصحـاب الإمام من الـوصول إلى حـول الموشـح، وتم لهم فك الحصر، وأوقعوا بالمجاهدين نكايات، غيـر أن المجاهـدين هاجمـوا وثبتـوا وتحملوا كل نكـاية، حتى تغلبـوا على عـدوهم، وأنـزلـوا بـه الضـربـة الأخيـرة ، ففرقـوه، وأمعنوا فيـه قتلاً وأسـراً وأخذوا منـه مغانم طـائلة، وولت الأعداء الأدبار، وكان حظهم البوار والخسار.

ثم تجمعت جمـوع وأرادت الاستيـلاء على قـارة[1] فقـابلتهم الجنــود الإمامية، وجرت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة الأعداء وفرارهم.

ثم كـان بعد هـذا بث سموم الـدعايـة الإدريسية في بـلاد (عاهم)[2] ، وأخـذت بلاد (عـاهم) تفشل وتتخـدع، وجنح بعض قبـائلها إلى إتبـاع السيد محمـد، وطمعـوا في سـائرهـا فـانثنى الإمـام إلى تحصينهـا، وبعث الجنـود لحفظها، وطـرد الأعداء من أطـرافها، واجتمعت قـوات إماميـة كثيرة في حصن (كشـر)[3] من مختلف القبـائــل ، وأسـرع أصحــاب الإدريسي إلى الهجـوم فسـاقوا قـوة وذخيـرة إلى وادي (مـزرعـة)[4] ونشبت فيـه بين الفـريقين حـرب طـاحنة ، ثم دارت الحـرب في القـرى المجـاورة لسـوق عـاهم وامتـدت إلى الخميسين[5] وانتصـرت القـوات الإمـاميـة، حتى اقتـربت من بيت الخميسي

---

(١) عزلة من ناحية وقضاء وشحة.

(٢) عزلة من ناحية كشر قضاء وشحة.

(٣) ناحية من قضاء وشحة كما سبق.

(٤) عزلة أنهم ناحية كشر قضاء وشحة.

(٥) سبق ذكرهما.

أحد رجال السيد محمد، وأصلت بيوته نيراناً حامية، ثم حدثت معارك خفيفة في (بني حملة)[1] ثم امتدت رجال السيد محمد في حدود بلاد الشرف[2] وأخذوا يهاجمون القرى ويطاردون أهلها التابعين للإمام وبدأوا بالعمل في (جياح)[3] فاضطرب من في بلاد الشرف، فهرعت قوات إمامية إلى تلك الأطراف، واشتبك الفريقان في معارك خفيفة، ومطاردات محلية، وساق الفريقان قوات كثيرة وذخائر وفيرة، وامتد هذا الميدان من حجور إلى بلاد الشرف، وكلا الفريقين يسوق الرجال والذخائر إلى الحدود .

ثم تلا هذا حدوث سكون في الميادين في شهر ربيع الأول من عام ١٣٣١هـ، لمحادثات جرت بين القيادة العثمانية والسيد الإدريسي واقترح الوالي (محمود نديم) على جلالة الإمام أن يتريث ولا يتعجل في المقاومة ، وفي هذا الشهر تغلب الجند الإمامي على كافة قبيلة سحار في ميدان الشام، وسقطت الجوانب التي كانت موغلة في عنادها مثل آل حميدان وأهل الطلح[4] والأبقور[5] وقد أصيب ميدان الشام بتخاذل وتراخٍ من جانب القوات الإمامية في هذه الفترة، وانخذلت جموع من ذي غيلان[6] وابني شاكر[7]، ومكرت فكان هذا أحد الأسباب في ركود حالة الميدان الشامي .

ومنها فشل الطوابير العثمانية الفشل المعنوي فقد وهنت قواهم وخارت عزائمهم، حين ما اتصلت بهم الأنباء المتدفقة من الأستانة، والحروب

---

(١) عزلة من ناحية أفلح الشام قضاء الشرفين .

(٢) جبل واسع في الشمال الغربي من حجة ويشكل أحد قضواتها (المقحفي ص٢٣٠) .

(٣) عزلة من ناحية أفلح اليمن من بلاد الشرفين السابق ذكرها (نفسه ٩٨) .

(٤) عزلة من سجار من صعدة (المقحفي ص٢٦٤) .

(٥) قبيلة من خولان لها بقية في سحار بالشمال من صعدة (نفسه ٧) .

(٦) من غربي صعدة من قضاء رازح (نفسه ٣١٠) وذو عيلان من دهمة من ناحية برط .

(٧) شاكر بطن من بكيل من ولد شاكر بن نهم بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل .

الطاحنة حواليها بين الدولة العثمانية ودول البلقان، فكانت الدهشة عظيمة، والجزع بالغاً أشده، فلم يبق لهذه الطوابير معنى، ولا برزت بعمل يذكر.

هذا كله والنفقات، التي تستنفدها الجنود قد بلغت مبلغاً باهضاً بتوالي الأيام، وأصبحت الحالة تنذر بعواقب غير سارة إذا لم يحدث ما يضمد الجراح، ويبعث النفوس على الثبات والتضحية الغالية.

ولما انتهى الكفاح في سحار توجهت الجنود إلى (جماعة وعرار) (والى رازح) ومن اتصل بهم ممن سارع إلى البغي ونكث وحارب تحت لواء السيد محمد، ولكن الجنود الإمامية كانت قد قلت، وأخذت الطوابير التركية تلح في تخلية سبيلها لتعود إلى صنعاء وتوقفت عن كل عمل، وبعد مخابرة جرت بين الإمام والوالي محمود نديم، وصل إلى مقام جلالة الإمام (عصمت باشا) أركان حرب القوة العثمانية بصنعاء وبرفقة السيد الكبير قاسم ابن حسين العربي أبو طالب، وبعد تراجع وتشاور تم الرأي على أن يذهب عصمت والسيد المذكور إلى صبيا إلى السيد محمد للتفاوض معه ولدراسة أحوال السيد، وما ينوي أن يقوم به، ولما عادا إلى صنعاء بهذا الرأي، رغب الوالي محمود نديم أن يكون الوافد إلى الإدريسي بنفسه، وبعد مخابرة بينه وبين الإمام تم الرأي على سفر الوالي ومعه السيد الكبير قاسم بن حسين العربي والسيد الكبير أحمد بن كي عامر، واستصحب معه من كبار رجاله[1] جماعة، وعند وصولهم إلى تهامة، أستدعى ثلاثة[2] من كبار علمائها وأعيانها، وجرت المخابرة بين الوالي والإدريسي لتعيين مكان للإجتماع فيه فأظهر السيد الاضطراب والتلكوء، فإن هؤلاء السادات الذين رافقوا الوالي في سفرهم هذا اتجهوا إلى جيزان مقر الإدريسي، وجرت

---

(١) يذكر المؤرخ زبارة منهم: حسين كامل رئيس مجلس التدقيقات والقاضي عبد الكريم بن أحمد مطهر.

(٢) هم مفتي المراوعة العلامة محمد بن عبد الرحمن الأهدل وعبد الباري بن أحمد الأهدل ورجب بك متصرف الحديدة.

بينهم وبينه مفاوضات شتى، وبعد لأي وعنا وافق معهم على الاجتماع بالوالي، وعين مكان الاجتماع مدينة (ميدي) من البلدان التابعة له، فهرع الوالي على الباخرة الحميدية إلى ميناء ميدي، وكان السيد محمد قد توسط الطريق بين جيزان وميدي، فلما علم السيد خنس وتراجع، وأبى أن يدخل إلى ميدي خشية أن يؤخذ، وأرسل إلى الوالي بعض خواصه صارحه بهذا، فضحك الوالي وأفاد الوالي مندوب السيد محمد، ان له الرأي في تعيين مكان الاجتماع، وأمره أن يذهب إلى السيد ويخبره في تعيين مكان الاجتماع، وبعد محاورات تنازل السيد ورضى ان يقابل الوالي في (جيزان)، مقر الإمارة الإدريسية، فأبحر الوالي إلى ميناء جيزان، وتم الرأي على أن تكون المفاوضات نهاراً في جيزان، ويكون الرجوع ليلاً إلى الباخرة للمبيت، وكل ما جرى في المواقف الخاصة والعامة لم يخرج عن كونه جدالاً وعناداً، وفي بعض المقترحات الإدريسية التبرم من الإمام، وحاول إغراء القوة العثمانية به وبنقض الصلح، وأخيراً بعد اليأس من رجوع السيد إلى الحق وانقلابه عن مشربه الموبوء، أخبره الوالي: إن كل ما تقترحه على الحكومة العثمانية يكتب، وسيفاوض الحكومة في الأستانة بشأن ذلك.

وعلى هذا القول الجاف انتهت المفاوضات ورجع الوالي ومن صحبه في اليوم الثاني من جمادي الأولى عام ١٣٣١هـ.

ويمكن القول بأن فشل هذه المفاوضة نتيجة محتمة، ذلك أن السيد محمد لا يبرم شيئاً إلاّ بوحي ايطاليا ولا سيما في مثل هذه القضايا الكبرى، وكانت المصلحة الايطالية تقضي بشبوب نيران الفتنة، ضد الحكومة العثمانية في كل موقع وفي كل فرصة، لهذا كان فشل هذه المفاوضات أمراً منتظراً بل متحقق الوقوع.

ومازال السيد محمد يجد في محاولاته ضد الحكومة العثمانية من

جـانب، وضد الإمـام من جهة أخـرى وايـطاليـا تقـذف بـالأمـوال إليـه بـدون حساب.

ونعـود إلى تمام الكـلام على ميدان حجـور والشام، فنقـول: قد أشـرنا إلى رجوع سحار إحدى قبائـل الشام إلى حـظيرة الـطاعة والجمـاعة، وحـدث عقـد صلح بين قبـائـل بني مـروان، وخيـران[1] ومستبـا في ميـدان حجـور، وتجمعت الجنـود الإماميـة في آخـر رجب من هـذا العـام عـام ١٣٣١هـ على مناجزة جماعة، فاشتبك الفريقان في معـركة انتهت بـانخذال كثيـر من جموع جماعة، واشتبكت قـوات إماميـة مع قبـائل رازح في العـر والمصنعة[2] انتهت بـانتصـار القـوة الإمـاميـة، وفـوزهـا بـالإستيـلاء على المحلين المـذكـورين، وانهزمت جموع رازح بعد خسارة فادحة، واستولت القوة الإمـامية على جبـل (حرم)[3] واضطربت القبائل الشامية اضطراباً عظيماً.

وفي شعبـان من هذا العـام حدثت معـارك خفيفـة على حـدود حجـور، واشتبكت القبائل التـابعة لـلإمام مـع خصومهم في معـارك شتى، انتهت بصد أتباع الإدريسي والتغلب عليهم.

وفي أول شعبـان من عام ١٣٣١هـ تحـول الإمـام من مقـره في (القفلة) إلى السـودة للقضاء على شغب نشب في بـلاد السود[4] وجبـل عيال يـزيـد[5]

---

(١) ناحية من بلاد الشرفين (المقحفي ص ١٥٠).

(٢) جبل في وائلة من ناحية صعدة (الحجري ص ٤٧٨).

(٣) من عزلة بكيل ناحية شذا وغمار قضاء رازح.

(٤) السود ناحيـة تتبع قضـاء عمران وهي بـالجهة الشمـالية الشـرقية من مـدينة غمـران وتنقسم هذه الناحية إلى عدة عزل (الثور: اليمن دراسة موجزة ص١٠٨).

(٥) جبـل عيال يـزيد والأشمـور سلسلة جبلية غـرب عمران وتتصـل بها جبـال دعان ويسيـع وجبال ظهر حاشد ويتراوح ارتفاعها بثـلاثة آلاف مـتر عن سطح البحـر ويحدهـا من الشمال ريـدة ومن الشرق عمران ومن الغرب بني صريم ومن الجنوب الجبل وهمدان (نفسه ص١١١).

وانتظاراً لقدوم الوالي محمود نديم فانه أراد الاجتماع بالإمام، وتم الرأي على تعيين حصن السودة مكاناً للاجتماع .

وفي نصف شهر شعبان تم الاجتماع، وبعد اسبوع أمضاه الفريقان في السودة يسوده الإحترام والود وحسن التفاهم والتعاون، تم الأمر على تظافر الجهود، والتعاضد والتعاون لمناجزة السيد الادريسسي وخضد شوكته، قبل أن يتمكن من توطيد نفوذه في البلاد، وكان الاتفاق على تبديل الطوابير العثمانية التي ترابط في بلاد الشام بغيرها، ممن ينشط للقتال، ويرغب في النزال.

وفي هذا الاجتماع سلم الوالي العثماني منشوراً رسمياً همايونيا[1] أرسل من الأستانة للإمام ايذاناً بالموافقة على معاهدة (دعان) التي أبرمها أحمد عزة باشا من جانب الحكومة العثمانية، وكان عزة باشا قد عاد من اليمن إلى الأستانة، وتقلد في هذه الآونة، نظارة الحربية في الأستانة كما يدل عليه لفظ المنشور الذي ننقله بنصه وأسلوبه وهو كما يراه القارىء:

(١) الهمايون: لفظة فارسية معناها المبارك والمقدس والملوكي وبهذا المعنى استعملتها الأتراك فقالوا باب همايوني وخط همايون.

(لفظ المنشور)

جناب مرجع السيادة عالي الإنتساب، فرع الشجرة «الزكية، طراز العصابة العلوية، اكرم السلالة الهاشمية، السيد الشريف الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد زكي حميد الدين حفظه الله تعالى من آفات السموات والأرضين. إذا وصل توقيعي الرفيع السلطاني. فليعلم ان نخبة آمالنا الشاهانية ان يعتلي ويزداد بتوفيقه تعالى شأن حكومتنا الإسلامية وشوكتها، وان تشيد بآثار العدالة والراحة أطراف ممالكنا المحروسة، وان تتأبد لكل فرد من اخوان الدين المبين اسباب السعادة والسلامة، وان تتميم حصول مقاصدنا الهمايونية في الخطة المباركة اليمنية، مطلوب وملتزم لون ملوكيتنا، ولذلك أقترنَتْ بتصويبنا الهمايوني، المواد التي تقرَّرت بالمذاكرة بينكم وبين ناظر امورنا الحربية، أحد الأعيان افتخار الأعالي والأعاظم، ومستجمع المعالي والمكارم، عزة باشا زاد علوه، حين كان قائد قوتنا العسكرية في اليمن، لرفع الأحوال التي كانت منذ زمن متوالية في قسم الجبال من خطّتنا اليمانية، ومؤدية لأنواع المضار بين المسلمين ولتأمين واستراحة تبعتنا الصادقين الساكنين في ذلك الجوار، ونفعهم وصدرت إرادتنا السنية السلطانية بوضع تلك المواد في موقع التطبيق وبياناً لكون مطلوبنا الشاهاني، المصحوب بالمعالي، صرف المساعي والإهتمام من جنابكم، ومكارم مناقبكم ايضاً، كما كان في رفع الشقاق المضّر بالأهالي المحلية منذ سنين رفيرة، ويزيد المصافاة والإتّحاد بين المسلمين وإراحة قلوب المؤمنين، كان إصدار أمرنا هذا عالي الشأن من ديواننا الهمايوني وإرساله نحو سيادتكم التي هي مرجع السّيادة تحريراً في اليوم السادس والعشرين من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٣١ هـ انتهى.

ونجد إياب الوالي محمود نديم من حصن السودة، إلى صنعاء كان أول عمل عمله تجهيزه لثلاثة طوابير بكامل أسلحتها، تحت قيادة عثمان باشا.

وفي أوائل شهر شوال من هذا العام، خرجت من صنعاء في طريقها إلى الشام بدلاً عن القوة التي تحارب هناك، تحت قيادة موسى كاظم، وقد اعد الإمام لهذه الحملة كل لازم، على طول الطّريق من صنعاء إلى صعدة، ولما انتهت هذه الحملة إلى الشام، أسرعت الطوابير التي ملّت من الحرب وسئمت من النضال، إلى الرجوع إلى صنعاء فرافقهم من قبل الإمام من أعد لهم كل واجب على طول الطريق، في عودتهم إلى صنعاء، وقد استقبلهم الوالي والجماعات من الناس، من أتراك وعرب، وعجبوا أشد العجب لما شاهدوا سلامتهم وصحتهم وكمال جميع مظاهرهم، وبعد أن بلغت الطوابير الجديدة إلى سحار، واستعادت نشاطها اخذت تباشر أعمال الكفاح، بالتعاون مع القوات الإمامية، ونشبت أوَّل معركة في آلة حميدان من أطراف سحار، وكانت معركة حامية الوطيس، انتهت بتراجع القوات الأمامية لكثرة من أحاط بهم من قبائل جماعة، ثم ان القوات الامامية، نظمت الصفوف، واستجمعت الجهود وانزلت بالأعداء ضربة بالغة، وتناولوهم من كل جانب حتى تم لهم الإستيلاء على آلة حميدان، وآل ذرية، والمعلقة إلى أن وقعت هجرة ضحيان في يد الجنود الامامية، وتبع ذلك إحاطة الجنود (بمجز)[1] وما حولها.

وفي الجهة الغربية استولى المجاهدون على الأشعاف[2] والأزوار[3]، وأوغلت قبائل سحار في النكاية بقبائل جماعة وإنزال الضربات الأليمة بهم، وأصيبت بلاد جماعة بنكبة حربية قاسية أتت عليهم (وعلى الباغي تدور الدوائر).

وفي خلال هذه الشهور والحرب تدور في ميدان الشام، وفي ميدان

---

(١) مجز: قرية في جماعة من بلاد ضعدة فيها مركز بني جماعة (الحجري ص٦٨٩).

(٢) من عزلة أنهم ناحية كشر قضاء ميدي.

(٣) من عزلة آل وقيش ناحية شذا وغمار قضاء رازح.

حجور، والقوات العثمانية رابضة في تهامة خشية أن يتوسّع نفوذ السيد الادريسي في تهامة وكانت الرسائل والإنذارات قد انتشرت في طول البلاد وعرضها، تحذّر النّاس من عواقب التّدخل الإيطالي بواسطة الادريسي، وتدعوهم إلى اليقظة في حراسة بلادهم ودينهم، فكانت هذه الحرب المعنوية من أعظم الآثار في عرقلة مساعي السيد، وفشل أحواله.

وجاءت سنة ١٣٣٢[1]هـ والأحوال كما شرحناها لك قبل هذا جهود متظافرة لمناجزة الدّعوة الادريسية، وحروب في قسمين من البلاد عظيمين، وسائر البلاد تتمتّع بطمأنينة راسخة وسكون شامل.

وعامنا هذا عام ١٣٣٢ هـ هو العام الذي اعلنت فيه الحرب العالمية الأولى واصيب العالم بكارثة حربية، أكلت اكثر من عشرين مليوناً من البشر، وغَيَّرت التاريخ وجغرافية العالم ونحن نكتب هذا التاريخ في عام ١٣٦٣ هـ، والعالم في الشرق والغرب يموج في بحار من الدماء، وهو العام الخامس للحرب العالمية الثانية ولا يدري إلاّ الله وحده بماذا تنتهي به هذه الحرب ولله عاقبة الأمور.

وقد أسلفنا القول بان إيطاليا بذلَتْ جهوداً كبرى لدى الإمام ليتخلى عن نصر الأتراك، ويدع حرب الإدريسي، فلم تجد مجالاً لديه، ونقول هنا ان كثيراً من الذين أنخدعوا بدعوة السيد قد أخذوا يتباعدون عنه، ويرون في الإبتعاد عنه سلامة الدين والوطن لذلك وفدت طوائف من اشراف حرض آل حوذان وغيرهم إلى الإمام يستحثونه ويستنجزونه الجدّ في كفاح السيد الإدريسي، فأرسل الإمام من وفد إليه الى صنعاء إلى الوالي للمفاوضة معه،

---

(١) يوافق هذا العام أوائل سنة ١٩٤٤ وقد مضى على الحرب العالمية نحو خمس سنوات فقد بدأت سنة ١٩٣٩ وانتهت سنة ١٩٤٥ بفواجع عظيمة كانآخرها رميقنبلتين ذريتين على اليابان الى غير ذلك مما هو مسطر في كتب التاريخ.

وارسل كثير من شيوخ بني مروان إلى الإمام يبذلون طاعتهم ورجوعهم الى الحق.

وفي ربيع الثاني من هذا العام توجّه الوالي محمود نديم إلى الحديدة، ثم إلى اللحية، ثم إلى الشاهل[1]، وكتب الإمام إلى عامله بالشرف أن يقوم بكل ما يأمر به الوالي العثماني ثم عاد الباشا الى اللحية.

وبعد هذا الشهر أمر الإمام أن تتوجّه الجنود الموجودة في الشام لمهاجمة (جبل رازح) الجبل المتسع الجوانب الكثير الخصب القائم فوق سفوح تهامة، أبي عريش وضمد[2] وصبيا، والمسارحة[3] والحرث فانهالت الجنود العثمانية والإمامية على هذا الجبل من كل جانب ودارت رحى الحرب المضطرمة.

وفي شعبان من هذا العام استولت الأجناد الإمامية على قلعة الغمار مركز جبل رازح، بعد أن سقطت اكثر بلاد هذا الجبل، وما انطوى شهر شعبان إلاّ وجميع بلاد رازح قد أذعنت لصوت القوة، وَفاءت الى طاعة الحق، بعد أن حل ببلادها الدمار والنكال وفي شهر رمضان انكفأت الجنود الامامية إلى ديار جماعة لتصفية أطرافها وتطهيرها من الذين لا يزالون مَيَّالين الى الشّغب والإفساد، واتجهت الجنود إلى (عرو) ثم أجمعوا أمرهم وهاجموا (وادي معبار)[4] وفيه دارت معركة حامية الوطيس ثبت فيها الجند الامامي وأبلى بلاءًا حسناً، وبذلت الطوابير العثمانية جهوداً جَبَّارة مشكورة، وانتهت المعركة بفرار أشرار جماعة، وأوشابها بعد خسارة في الفريقين،

---

(١) الشاهل ناحية تابعة لقضاء الشرفين في الشمال الغربي من حجة بمسافة ٣٧ ك.م (المقحفي ص٢٢٣).

(٢) قرية من تهامة بين صبيا وأبي عريش (الحجري ص ٥٥٣).

(٣) من قبائل تهامة من ناحية أبي عريش (نفسه ٧٠٧).

(٤) ما بين خولان ورازح.

ولم تمهلهم الجنود الامامية بل سارعت إلى التعبية، وهاجمت العياني وصارة، وكتب الله النَّصر للقوات الامامية، وانخذل المعاندون، ورأت جماعة أن لا قبل لها بتوالي الضربات وتتابع الصَّدمات فبادرت إلى الطاعة، وقدمت رهائن الولاء، وسكنت الشرور بعد اهوال طوال وخطوب جسام، وتدمير قرى، وتشتيت شمل وسفك دماء، كانت جديرة بأن تصان ليضحَّى بها في سبيل الحق، ولكن «ليقضي الله أمراً كان مفعولاً» وكان وقوع هذه الحوادث في شوال من هذا العام.

هذا، كان في ميدان الشام واما ميدان حجور فإن الإمام أمر بتمام أعمال هذا الميدان.

وفي رجب من هذا العام كان بَثّ الجنود لتأديب قبائل حجور الموالية للإدريسي بني هني وبني سعد وشطر من بلاد ضاعن[1] بني رخمة وقضاة الأودية،ونشبت معارك خفيفة ومطاردات متوالية، وكانت الحرب سجالاً، وتم للأعداء إحتلال حصن نعمان[2] بحيلة اهتدوا إليها، وواتر الإمام إرسال المدد والذخائر وتطاولت المجاذبات، وكانت قبيلتا بني سعد وهني ومنازلهما، في الطرف الغربي من حجور بجوار مستبا وبني مروان هما مفتاح الفتن، وكانتا على جانب من الخبث والغلظة والتلون ولما رأى الإمام ان الإحتفال والإهتمام بميدان حجور لا يثمر غير الخسارات الوفيرة، ولا يخشى من تلك الزاوية أن يمتد شر إلى ورائها لذلك رغب الإمام إلى تخفيف الجنود من هذه الجبهة، وترك حامية خفيفة تحت إمرة القاضي الحازم محمد ابن سعد الشرقي، ووكل إليه تدبير البلاد في الحرب والسلم، فوقف في وجه العدو وردَّه على عقبه كل ما همّ بغزو أو تقدم، حتى انتهى هذا العام، والحالة في هذا الميدان بين أخذ ورد، وتليين وشد.

---

(١) بلد من حجور شمالي حجة يتبع ناحية وقضاء وشحة.

(٢) جبل يطل على حجة من ناحية الجنوب.

وفي آخر هذا العام ضربت المدافع البريطانية (باب المنـدب)[1] الميناء اليمنية الهامة، وتَمّ لهم إحتلالها، ثم كَرَّت عليهم القوات العثمانية وعضَّدتها القبـائل اليمنيـة الجنوبيـة، قبائـل لواء تعـز وما اتصـل به من تهـامـة ومـا قـابله من الحواشب[2]، وقبائل وفيرة يمنية تطوعت للجهـاد ووثبت كالآسـاد، ونصر الله المسلمين واستعادوا باب المندب، وأخذت القوات العثمانية تنظم صفـوفها، والقبائل اليمانية تشدّ إزرها لحماية القسم الجنـوبي من غارات البـريطانيين، والوقوف في وجه الأجانب إن هم ارادوا باليمن شرّاً وسنذكر تفصيل ذلك في مـا يلي هـذا ان شـاء الله تعـالى، وانتهى بهـذا القـول في حـوادث سنـة ١٣٣٢ هـ في اليمن.

وبزغ هلال العام الجديد عام ١٣٣٣ هـ والأحوال في اليمن هادئـة إذا أستثينا حركة الإدريسي في القسم الشمالي من تهامة، وما عدا ذلك فالأمـور متسقة والشؤون مجتمعةوالإمـاموالقوّات العثمانية في تفاهم تام وحسن تجاور كما يرام، وليس في البـلاد ما يـدعو الى القلق غيـر الحركـة الإدريسية ومـا نجم من مبادي عدوان إيطاليا أوّلاً ثم بريطانيا على باب المندب ثانياً.

ومضت سنة ١٣٣٣ هـ والأحوال هادئة، ولم يحـدث في اليمن حادث يستحق أن يثبت ويسجل غير أمرين.

أحدهما تجريد الإمام لعصابة من المجاهـدين تحت إمْرة السيـد النبيل

---

(١) هذه الحادثة كانت بسبب المنافسة بين بريطانيا وحلفائها وبين المانيـا والدولـة العثمانيـة في السيطرة على المسالك المائية في البحر الأحمر وقد كتب عنها أحد البـاحثين الانجليـز مؤلفاً تـرجمة الـدكتور سيـد مصـطفى بعنوان العمليات البحـريـة البـريـطانيـة ضـد اليمن أبـان الحكم التـركي ١٩١٤-١٩١٩. انظره.

وانظر بشر الثناء الحسن ص ١٤٢ وأئمة اليمن ص ٣٠٢.

(٢) قبيلة كبيـرة مسـاكنها في شمـال الحـج وجـزء متنـاثـر في جبـل صبـر المـطل عـلى تعـز (المقحفي ص١٣٢).

أحمد بن قاسم حميد الدين الى قضاء رداع وما يتصل به من قبائل البيضاء[1] لتأديب قبائل أمعنت في الشرور والمفاسد.

وثانيهما ثبوت القائد العثماني سعيد باشا[2] في مهاجمة مستمرة عدن التي تحكمها بريطانيا، فقد غزا على رأس قوة عثمانية يؤيدها المتطوعون من قبائل لواء تعز، وما جاوره، وكثير من المشايخ كآل نعمان وغيرهم، وزحف حتى استولى على (لحج)[3] وفر سلطانها العبدلي[4] إلى (عدن) وقابلتهم الجنود البريطانية، بهجمات حامية، ودفاع قوي، ولكن كل ذلك ذهب عبثاً، فقد ثبتت القوات العثمانية واليمنية، وأنزلوا بالبريطانيين خسائر فادحة، وضايقوهم وألجأوهم إلى الإنكماش في عدن، تحميهم الطائرات والأسلاك الشائكة والألغام، مخافة ان تقتحم القوات العثمانية عليهم الأبواب.

وسنشير في ما يلي: ان هذه القوات المرابطة في لحج المحاصرة لعدن مكثت في مراكزها، وثبتت في مرابطها حتى انتهت الحرب العالمية وعقدت حكومة الأستانة الصّلح مع الحلفاء، فكان ما سوف نذكره في حوادث عام ١٣٣٧ هـ ونريد أن نسجل هنا للتاريخ ان الجهود التي بذلتها القبائل اليمنية في حروب لحج، ضد البريطانيين جديرة بالإكبار والإعجاب، وإليها يرجع القسط الأوفر في نجاح الأعمال في هذا الميدان الخطير، ولا نعني بهذا بخس القُوات العثمانية حقها والله تعالى يقول (ولا تبخسوا الناس

---

(١) البيضاء: مدينة كبيرة في الجنوب الشرقي من صنعاء بمسافة ٢٧٢ ك.م وهي على مقربة من كيرس (المقحفي ص٦٣).

(٢) ذكر هذه الحادثة المؤرخ زبارة في أئمة اليمن ص ٢ ص ٣٠٢ وهدية الزمن ص ٢٠٩.

(٣) مخلاف كبير في الشمال الغربي من عدن بمسافة ٢٥ ميلاً.

(٤) هو السلطان علي بن أحمد العبدلي.

أشيـاءهم)[1] انما نـريد ان نسجل حقيقة تـاريخية قـد يطويهـا الإهمال في زواياه الحافلة بكثير من الحقائق الضائعة.

وفي سنـة ١٣٣٤ هـ جهـز الإمـام حملة تـأديبيــة إلى قبيلة الحـدا من القبائل الشرقية وعهد الى حاكم ذمار إذ ذاك السيد الكبير عبد الله بن احمـد الوزير[2] بقيادة هذه الحملة، وآزره المقداد[3] (من بلاد أنس) بعصـابة قـوية، وكانت قبيلة الحدا[4] قـد أمعنت في غيها، وشـرهت إلى طغيانهـا فساد فيهـا إخافة الـطرق وعدوان القـوي على الضعيف، واضطرب الأمن فيهـا، فتولت هذه الحملة تأديبهم، ونشبت بين الفـريقين معارك في بني الفـراصي[5] وبني عزيز. وامتدت الى منازل آل القـوسي[6] وبني زياد[7] وبني بخيت[8]، وانتهت هذه الحملة بخنوع هذه القبيلة واستسلامها ورضوخها.

وفي عـام ١٣٣٥ هـ بدرت بـوادر الشـر تلوح في جبـل (عيـال يـزيـد) وأخذوا في مهاجمة (كحلان تاج الدين) بغياً وتعصباً جاهلياً وضغـائن نفوس تسرع إلى الشّرر فساق الإمام الجنود إلى هذا الجبل لتأديب قبـائله المذعنـة للشر، ولما رأت قبائل الجبل تزاحف الجموع، وتكاثر الجنود سارعوا بتقديم رهائن الطاعة، ووثائق الانقياد لما يأمر به الإمام، وكفّـوا عن عدوانهم على قبائل كحلان، وحينئذ قبل منهم الإمام، وصرف عنهم الجموع، وصفح عما

(١) الآية.

(٢) هـو العلامـة الذكي عبـد الله بن أحمد بن محمـد الوزيـر ولـد سنـة ١٣٠٧ ونشأ في حجـر والـده وأخذ عن علماء صنعاء وغيـرها وتـولى مناصب متعـددة وشارك في الثـورة على الإمـام يحيى وكان من المعدمين سنة ١٣٦٧ (نزهة النظر ص٣٦٩).

(٣) هو القائد نصير الدين علي بن المقداد بن أحمد بن عبد الله الآنسي السابق ذكره.

(٤) قبيلة مشهورة موطنها في الشمال الشرقي من ذمار بمسافة ٣١ ك. م.

(٥) من موطنها ناحية عتمة ذمار.

(٦) من الحدا (المقحفي ص ٣٣٨).

(٧) من الحدا (نفسه ص ١٩٤).

(٨) مخلاف مشهور من مخاليف الحدا بالجنوب الشرقي من صنعاء (نفسه ٤٥).

فرط من سيئاتهم، ولكن هذا الصَّفح قد حملهم على الإغترار، وزَيّن لهم ما كانوا به يوجفون. فما انطوت أيام عام ٣٥ وأقبل عام ١٣٣٦ هـ إلّا وقبائل الجبل تزحف إلى الشر شرهةً مندفعة، فأخذت تخيف المارَّة وتسلب الأموال، وتخيف السبل، وتعلن ثورتها، وتمردها على الإمام وكررت عدوانها، فانتقل الإمام إلى خمر، واخذ في جمع الجموع وتجهيز الجنود، وما هي إلّا بضعة أيام فاذا جبل عيال يزيد يرزح ويئن والجنود تحيط به[1]، وتولى الإمام قيادة هذه الجنود بنفسه فانتقل الى (دعَّان) أحد قرى الجبل، وتولّى تأديبهم واذاقهم ما كانوا به يستهزؤون، فارعوت هذه القبائل وسلمت جميع الأشرار المفسدين، وحق بهم العذاب الأليم، وقدمت رهائن الطاعة والخضوع بعد أن ذاقوا مرارة العقاب الرادع.

وفي هذا العام عام ١٣٣٦ هـ جهز الإمام حملة عسكرية تحت إمرة السيد الكبير عبد الله بن احمد الوزير، لتأديب قبيلة (نهم) احدى قبائل المشرق، وعهد إليه بإصلاح شؤونهم، واطفاء نيران احقادهم وشرورهم، وكانت الأحداث والشرور فاشية في هذه القبيلة فتولى تأديبهم وانقلب برهائنهم ومشايخهم، بعد أن التأمت شؤونهم.

وبعد ان فرغ الإمام من تقرير شؤون جبل عيال يزيد انتقل من دعَّان، واتجه في شهر ذي القعدة الحرام من هذا العام (الى الروضة) إحدى منتزهات صنعاء وصحبه رجال موكبه، واجتمعت حول الإمام القبائل المنبثّة حوالي الطريق على كثرتها، وقدم الروضة في اليوم السابع عشر من القعدة في موكب يأخذ بالأبصار، اجتمعت فيه الرؤساء، ومن سائر الطبقات جموع وفيرة، وهرع من في صنعاء من أهلها لاستقبال الإمام ومشاهدة موكب

---

(١) يقول المؤرخ زبارة في هذه الحادثة في ليلة النصف من رمضان سنة ١٣٣٥ كان تجمع الآلاف من قبائل جبل عيال يزيد للانتصار للعراشي الواصل إليهم فكان قدوم أهل الجبل في هذه الليلة إلى كحلان.

الإمـامة الحـافل بـالجلال والـروعة، وخـرجت العساكـر العثمانيـة، وأمراؤها العسكريون، وغيرهم للقيام بواجب الإستقبال البهيج، واستقر الإمام في داره بـالروضـة، وقابـل الناس على اختـلاف طبقاتهم، ونـال كل فـريق قسطه من إقباله وحسن تلقّيه، وانصرفت الجمـوع مغتبطة ممـا شاهـدت وعاينت، وقـد كان قدوم الإمام إلى الروضة من اعظم التدابير الحازمة، والأعمال المجديـة إذ أن كثيراً من القبائـل المجاورة لصنعـاء كانت قـد أخذت في ضـروب من الشـرور، وأصبح الأمن ينـزوي ويتقلص والإعتداء ينتشـر ويستفحـل، وكـان الوالي العثماني وقائد القوات العثمانية في جولـة في جنوب البـلاد وغربهـا، فبقـدوم الإمام اطمأنت الاحوال، وهـدأت النفوس، وتـوارت الشرور وأمنت المارة، ونفذت الأحكـام واخذ الإمـام يدأب في اعمـاله في مقـره بالـروضة ووفود القبائل والحكام والأعيان تتواصل وتتواتر، وانطوت صفحـة هذا العـام عام ١٣٣٦ هـ، وجلالة الإمام مقيم في الـروضة بجـوار صنعاء وبهـذا انتهى الكلام على القسم الثاني من كتابنا هذا كما رسمناه في ديباجة الكتاب.

هـذا مـا آثـرنـا تـطريـز هـــذا القسم الثـاني بـه، وهنـا انتهى بنـا القـول عـلى القسم الثاني من الكتاب، وقد شمل كمـا رأيت جميع الحـوادث والشؤون، منـذ معاهـدة دعّان إلى ختـام عام ١٣٣٦ هـ، وسنبـدأ في القسم الثالث من كتابنا هذا متوخين الطريقة التي سلكناها في القسمين الذين فرغنا من العمل فيهما، من الميل إلى الإيجاز مع الإلمام بأطـراف الحوادث ولبـابها، بـاذلين الجهد في حسن تنسيقها وربطها بوثاق الإئتلاف والإنسجام، حـريصين على سرد علل الحوادث وبيان آثارها واطوارها، ليكون هذا الكتاب مؤدّياً للحاجة التي ينشـدها قـراء التاريخ ويهواهـا روّاد البحث ويجنح اليهـا ذوق العصر، وأسلوب التاريخ الحديث ومن الله نسأل الإعانة والتوفيق إلى الإحسان في ما نقوم به والحمد لله رب العالمين.

فهرست

صفحة